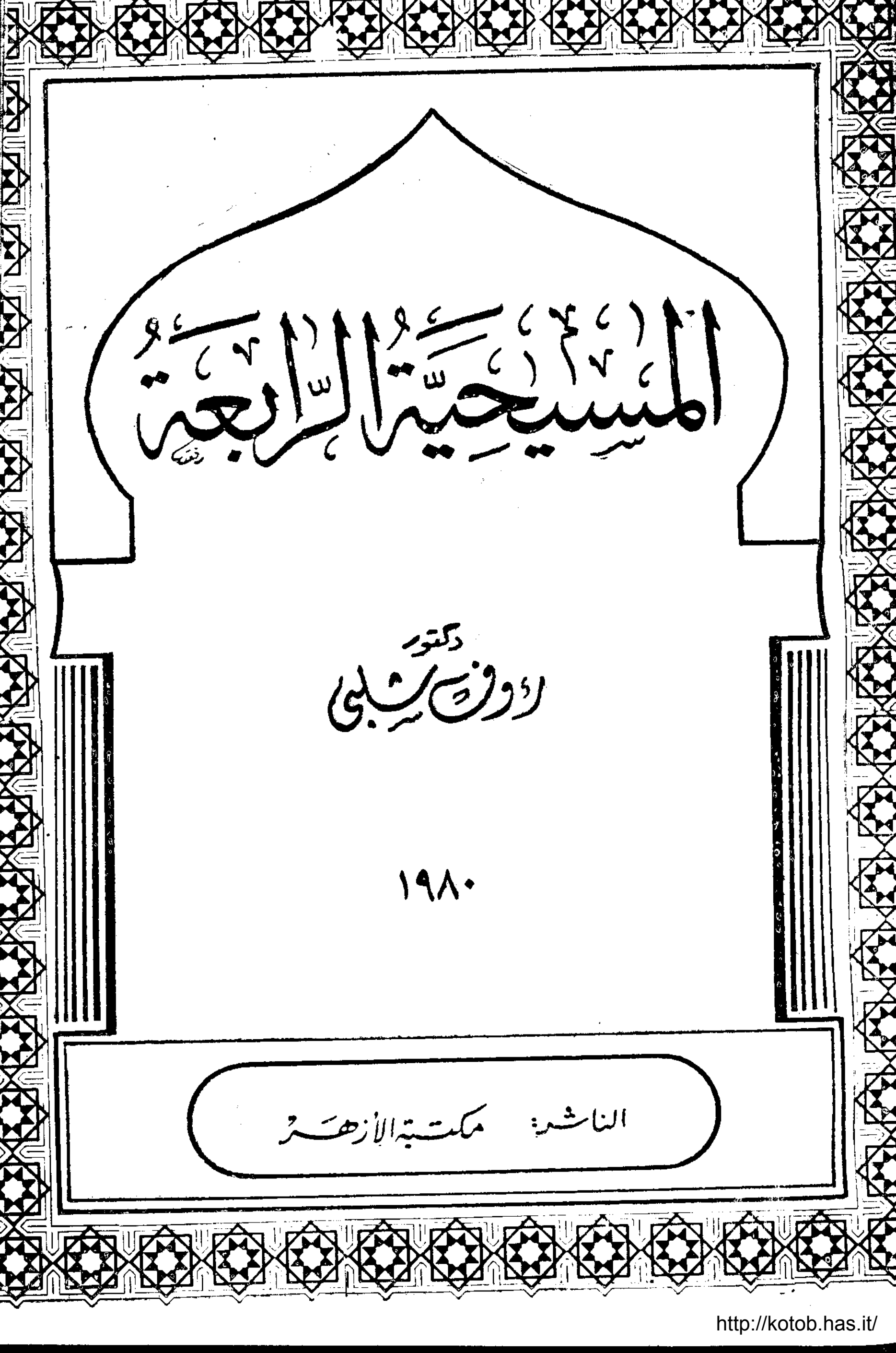


المسيحية الرابعة

دكتور
رؤوف شلبي

١٩٨٠

الناشر: مكتبة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

قل : يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات
الله والله شهيد على ما تعملون
قل : يا أهل الكتاب لم تصدون عن
سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم
شهداء ، وما الله بغافل عما تعملون .

آل عمران ٩٨ — ٩٩

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين
وبعد

... فلم يكن ليدر بخلدى فى يوم من الأيام أننى ساعنى بدراسة المسيحية ، ذلك لأننى نشأت فى جو بعيد الاحتكاك الدينى الذى قد يوجد فى بعض البيئات .

بل إن فضيلة الشيخ والدى رحمه الله تعالى كان من قلة العلماء الذين لهم أفق واسع فى إدراك العلاقات الإنسانية بين أهل الأديان الأخرى ... وكان يعلمنى منذ الصغر « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم » وكان جل همه فى تربيتى الحرص على عمق الإطلاع فلقد كان رحمه الله ذا صبر طويل فى سير غور المسائل الفقهية فربما مكث أياما يبحث عن مسألة واحدة ، ولقد ترسب فى فكرى هذا الخلق العلمى .

- لذا فلم يكن من السهل أن اتصرف فى مسألة علمية بناء على حث

وجدانى عاطفى ، وبالطبع لم يدر فى خلدى أنه سوف تكون لى صلة دراسية بشيء من مقارنة الأديان .

وظللت طوال فترة دراستى كطالب وأنا لا أتأثر عاطفيا باتجاه سلبي أو إيجابى تجاه أحد من أهل الكتاب ، حتى كنت مدرسا فى معهد طهطا الدينى وكان لى صديق طبيب مسيحى ربطت بيننا قسوة الغربة صداقة وطيدة وكنت أشاركه فى قراءة بعض الأبحاث الطبية التى كانت تنشر فى ذلك الحين ، ورغم ثقل العصبية فى هذه البيئة فإنه لم يكن هناك أدنى أثر فى نفسى تجاه الإخوة المسيحيين ذلك لأن مصر شعبا وتاريخا والإسلام أمة ومصدرا لا يعرفون معنى التعصب بالمفهوم التشاكس أو بمفهوم الصراع أيا كان لونه كلاميا أو دمويا ...

وسافرت إلى أندونيسيا عام ١٩٦٤ م بنفس هذه الروح ، والمعروف عندنا آنذاك أن أندونيسيا دولة إسلامية كبرى ، فبمجرد أن وطئت قدماى أرض أندونيسيا السندسية الخضراء فوجئت بكثافة رهيبة من الصلبان تعلو الكنائس فى مناطق حساسة فظننت أن الدين الرسمى للدولة هو المسيحية ، فانقلبت موازين الثقافة التى تعلمتها فى كلية أصول الدين ... وبعد حين من الاقامة

علمت أن نسبة المسيحيين فى أندونيسيا لاتعدو ٣٪ وإنما التكتيك التبشيرى الذى ينفق بسخاء كالمحيط الهادر صير المشاهد فى المدن كأنها دولة مسيحية ولقد أحسست بوخزة ألم فى صدرى لأن المسلمين فتحوا هذه الديار منذ عدة قرون ولم تعرف المسيحية لها طريقا إلا فى القرن السادس عشر وجاءت الأساطيل المسيحية فى خطة شاملة للقضاء على الإسلام بعد أن خرج الإسلام من الأندلس ، واستعمر الصليب بلاد العرب زهاء قرنين نقل فيها حضارة الإسلام إلى أوربا وراح ينقلب بالتراث الحضارى الاســـــلامى إلى دولة استعمارية حاقدة على الاسلام والمسلمين ونفس عن أحقاده بالاستيلاء على دول الاسلام فى جنوب شرقى آسيا .

ولكن كان ألمى شديدا وأنا أرى أبناء جلدتى وقد صاروا فى المؤخرة وهم سبب الخير والبركة لهذه الديار وأرى الاسلام يتأخر بتأخرهم وأرى المبشرين كالسوس فى الشوارع والمدارس والمصانع والأندية ، لقد كنت أقابلهم فى كل وقت من أوقات اليوم فى أول النهار وضحاه وظهره وعصره وأصيله ومغربه وعشاءه وغسقه وسحره، لايغيب ظلهم عن أوقات اليوم ثانية . . . وإنهم ليسيرون راكبى الدراجات أو الموتوسيكلات كأنما يمشون فى صحراء ليس فيها أحد ولا تلبث الأيام بعيدا حتى ترى كنيسة قد أقيمت فى الخلاء بعيدا عن

السكن والناس لا يعطون هذه الظاهره أهمية ولا يعلقون عليها كثيرا ، وكنت أظن أن هذا النشاط فى بيئة محدودة فلما طفت جميع الجزر وجدت ذلك بخطة مرسومة ومدروسة ... وتحسست مشاعر الناس فوجدت غيبوبة كاملة عن تصور المخطط اللهم إلا نفرا قليلا من المتحمسين للاسلام[١] ... ووجدت نفسى أمام ظاهرة فى حياة العمل الاسلامى فبدأت أدرس وبدأ معى شباب H. M. i المسلم الصادق الغيور ووضعت أول دراسة لى عن المسيحية فى كتابى :

(أضواء على المسيحية) :

ليتعرف الشباب المسلم على القدر الكريم الذى سمح به الاسلام للتعامل مع أهل الكتاب ، ثم عدت إلى جامعة الأزهر ووضعت كتابى

« ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء »

وهو كتاب لم ألجأ فيه إلى رأى عالم مسلم بقدر ما ركزت فيه على آراء علماء المسيحية أنفسهم إحقاقا للمنهج العلمى الذى يلزم الكاتب بتوضيح أراء المذهب المخالف من عين ما كتب أصحابه هم .

---

(١) راجع مقالنا عن أندونيسيا في مجلة الازهر العدد التذكارى بمناسبة المؤتمر التاسع لعلماء المسلمين الذى كان مزمعا انعقاده فى ابريل سنة ١٩٧٩م وقد صدر عدد المجلة في جمادى الاول ١٣٩٩هـ الموافق أبريل سنة ١٩٧٩م .

غير أن الدراسات المسيحية قد تطورت وظهرت فى المكتبة العلمية مجموعة دراسات عن علماء المسيحية ومن جامعتها وضمت كثيرا من الحقائق التى قد يكون الاسلام سابقا عليها لكنها كنتائج لأبحاث علمية فى بيئة مسيحية تكون من قبيل الحجة بالالحام فشاء الله أن يكون لى شرف العمل العلمى بدراسة هذه النتائج من مصادرها المسيحية الصافية فى تعصبها لهذا الدين ، وخلصت إلى ما خلص إليه هؤلاء القوم من هذه الدراسة ووضعت اسم هذا البحث اشتقاقا من تطور الكنيسة الزمنى والدينى حيث انتقلت من

عمل يسوع :

إلى عمل الحواريين

ثم إلى عمل بولس

وأخيرا إلى عمل قسطنطيين والمجامع التى ولدت مرحلة النقد اللازع ومحاولة الاصلاح الجذرية التى لن تجد لها دوحة تفىء إليها إلا الاسلام الحنيف لأنه دين الله الذى حمله جميع الأنبياء والمرسلين .

ولم أقصد من بحثى هذا سوى الرغبة العلمية الأمينة التى يسعى إليها كل علماء مقارنة الأديان فى جميع الجامعات العالمية وهى الوصول إلى الحق فقط .

والله من وراء القصد وهو الهادى إلى سواء السبيل .

والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين وعلى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

هـــذا .

وبالله التوفيق

دكتور متولى يوسف حسن شلبي

الشهير رءوف شلبي

صباح الجمعة ٥ من ذى الحجة ١٣٩٩ هـ

٢٦ من أكتوبر ١٩٧٩ م

١

التصور الاسلامى لرسالة سيدنا عيسى عليه السلام

« إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له : كن فيكون »

٦٩ — آل عمران

... من اللازم دينيا قبل اللزوم العلمى أن أضع التصور الاسلامى لرسالة سيدنا عيسى عليه السلام وعلى جميع الأنبياء والمرسلين الصلاة والسلام لأمرين :

الأمر الأول : لبيان حقيقة ما جاء به سيدنا عيسى بعد أن ضل أتباعه طريق المصدر الصحيح فتخبطوا فى دياجير السياسة تارة ، والاقليمية تارة أخرى ، والعقل تارة ثالثة دون أن يكون معهم مصباح يهتدون به ، وليس هناك بعد القرآن ولا قبله من مصدر معصوم متصل السند يمكن الاعتماد عليه علميا أو دينيا .

الأمر الثانى : أن النتائج المذهلة التى توصل إليها علماء مقارنة الأديان بل وعلماء التاريخ فى أوربا حول ضياع الأصل الدينى الذى جاء به عيسى وأن رسالته قد حورت فى أطوار متعددة قد دخلها التنظيم السياسى بما أبعدها كلية عن أصل الدعوة التى جاء بها سيدنا عيسى حتى صارت نحلة مستقلة لا صلة لها بوحى السماء .

وهى النتائج التى أطلقت عليها أسم : المسيحية الرابعة ، تلك التى ساعرضها فى هذا الكتاب — إن شاء الله — هذه النتائج مخالفة

تماما للتصور الاسلامى فياربما يشم من عرضى أننى أدين بهذه النتائج بالنسبة لرسالة سيدنا عيسى من أجل إظهار حقيقه الرسالة من حيث هى وحى سماوى من عند الله لشعب معين فى زمن معين ، ومن أجل أبراء ذمتى فيما سأعرضه من نتائج الدراسة العلماء المسيحين عن مسيحيتهم والتى تطاولوا فيها دون ريب على الحقيقة التى جاء بها سيدنا عيسى عليه السلام ولعل عذرهم فى هذا التطاول راجع إلى فقدانهم المصدر المعصوم الذى يدلهم على الحياة فى البحث والدراسة ، بدليل أن الذين توصلوا إلى هذا المصدر استراحوا عند نصوصه واعتقدوا أن ما جاء به عيسى إنما هو الذى جاء به القرآن الكريم .

مريم وولدها عيسى :

لقد تحدث القرآن الكريم عن البيئة الصغيرة التى ولد فيها عيسى عليه السلام فوصفها بأنها أسرة مصطفاة مباركة ضمن الأسرة النبوية من آدم ونوحا وابراهيم ثم آل عمران .

يقول جل جلاله :

« إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم ، إذ قالت امرأة

عمران رب إنى نذرت لك ما فى بطنى محررا فتقبل منى إنك أنت السميع العليم ، فلما وضعتها قالت ربى إنى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإنى سميتها مريم ، وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ، فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا ، وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يامريم أنى لك هذا قالت هو من عندالله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ،

٣٣ — ٣٧ آل عمران

فالبيئة المحلية التى ولدت فيها مريم بيئة طاهرة والولى الذى رعاها نبى من أنبياء الله والرزق الذى سبق إليها كان من نعم الله لم تصنعه يد بشر .

فهى تعيش فى المسجد ويرعاها نبى ويطعمها ملك يحمل لها رزقها من عند الله هذه الطهور البتول لم يكن فى شباب بنى إسرائيل من يساويها طهارة ونقاء وكان يحى بن زكريا حصورا وهو أصغر منها سنا وكان بنو إسرائيل قد أوغلوا فى الغى وجاوزوا الحدود فى الضلال فأراد الله أن يردهم إلى الصواب بفعل خارق وأعد جل جلاله نفسية مريم إلى هذا العمل الجليل :

« إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين ، قالت ربى أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون »

٤٥ — ٤٧ آل عمران

ليس فى مريم شىء يدفع إلى الريبة بل على العكس حياة مريم كلها طهر ونقاء وحملها لم يجر على سنن البشر بل جاء على سنة الله فى الخلق : « إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون » واستسلمت وجاءها المخاض إلى جذع النخلة وظهرت لها البركات « فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنياً » .

٢٤ — ٢٥ مريم

وهدأت واطمأنت ... ولكن اليهود وهم دائما قلب وهم دائما مواربون وهم دائما خائنون يقولون لها : « يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء ، وما كانت أمك بغيا » .

٢٨ — مريم

لكنها كانت واثقة من حماية الله لها « فأشارت إليه » لكنهم قوم خونة فاسقون « قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا » .

ولا تنتظر عناية الله موافقة البشر أو رضاه فنطق عيسى « قال إنى عبد الله آتنى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حياً ، وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جباراً شقيا والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا » .

٣٢ — ٣٣ مريم

والنص ممتلىء بالتلويحات والمعاريض :

— إنه سيكون لهم نبيا يخلصهم مما هم فيه من الغي والضلال .

— وإنه مبارك ليس كما يدعون أو يتوهمون .

— وإنه يحمل أسباب الصلة بالله وبالناس وكان اليهود قد قطعوها .

— وأنه من أم فقط دون أب وأنه بها بار لأنها طهور لم تأت به عن طريق شائن كما ظن اليهود .

— وأنه ليس مثلهم جباراً وأنه ليس مثلهم شقيا .

في مواجهة التأويلات :

ولما تأول القوم من بعد قصة الولادة وضح القرآن الكريم

حقيقة سيدنا عيسى فقال الله تعالى :

« إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبنى إسرائيل » .

٥٩ — الزخرف

فهو عبد أنعم الله عليه بالنبوة ، وجعله فى بنى إسرائيل مثلا على قدرة الله فى الخلق والإبداع ليهدهدوا من غلواء عقلهم الجامح .

ولما كان الأمر الذى افتراه الاتباع جللا فى البهتان فقد أمعن القرآن فى رد هذا التأويل الباطل :

يقول الله تعالى :

« إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين » .

٥٩ — ٦٠ آل عمران

« ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون ، ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه ، إذا قضى امرا فإنما يقول له كن فيكون»

٣٤ — مريم

« لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً » .

١٧٢ — النساء .

ويطول القرآن حبل الجدل مع دعاوى القوم حول عيسى فيما نسبوه إليه من ألوهية أو بنوة فيبطلها كلها بأسلوبين :

أسلوب النقل على لسان عيسى .

أسلوب القدرة الإلهية .

ففيما يتعلق بالأسـلوب الأول وهو الاعتراف الذى لا يرد قضائياً .

يقول الله تعالى :

« وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله قال : سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ، إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب « ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن أعبدوا الله ربى وربكم ، وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ، فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد » ١١٦ — ١١٧ المائدة

« لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بنى إسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار . »

٧٢ — المائدة

وأما الأسلوب الثانى فالله جل جلاله يقول :

« وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون وله من فى السموات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون[1] يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون ، لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون »

١٦ — ٢٢ الأنبياء

ويقول جل جلاله :

« وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ، وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون » .

٢٥ — ٢٧ الأنبياء

رسالة عيسى :

ويتحدث القرآن عن رسالة عيسى :

(١) يتعبون ويكلون .

إنها مكملة لما جاء به موسى وهى خاصة ببنى إسرائيل فقط فهى تكملة وهى محلية ، يقول الله تعالى :

« ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ورسولا إلى بنى إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرىء الأكمه والأبرص وأحيى الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين ، ومصدقا لما بين يدى من التوراة ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون ، إن الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم » .

٤٨ — ٥١ آل عمران

لقد جاء عيسى إثر موسى نبيا إلى بنى إسرائيل وأعطى التوراة التى نزلت على موسى الإنجيل ليحل لهم بعض الذى حرم عليهم سابقا .

ولذا فإن القرآن الكريم يصف كتاب موسى بأنه إمام .

يقول الله تعالى :

« ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة » .

١٢ — الأحقاف

فهو إمام لبنى إسرائيل والإنجيل الذى نزل على عيسى بهذا القيد مهمته : كما قال :

« لأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه » .

٦٣ — الزخرف

« ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم » .

٥٠ — آل عمران

فرسالة عيسى هى :

(ا) رسالة موسى من حيث : توحيد الله وتنزيهه عن كل شائبة شرك .

(ب) تحليل بعض الذى حرم عليهم سابقا .

(ح) خاصة ببنى إسرائيل ، ومبشرا بالنبى الخاتم .

« وإذ قال عيسى ابن مريم يابنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد . . . » . ٦ — الصف

فمن خرج عن هذه الحدود فقد غير وبدل وافترى على الحق والدين ولهؤلاء يأتى نداء مهذب مربى فى القرآن الكريم يقول الله تعالى :

« يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد ، له ما فى السموات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلا . » . ١٧١ — النساء

بل أن القرآن ليلفت نظر أهل الكتاب إلى حقيقة تغافلوا عنها وهى أن ادعاء البنوة ادعاء وثنى قاله الجاهليون من قبل يقول الله تعالى:

« قل يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل » ٧٧ — المائدة .

ويلفت القرآن نظر المسلمين إلى شيئين :

الأول : أن أهل الكتاب ليسوا سواء فى موقفهم من الحق فبعضهم يؤمن إذا عرف الحقيقة وبعضهم يعاند مع معرفته لها .

الثانى : ألا يتخذ المسلمون منهم بطانة أبدا .

... الصورة الأولى : واردة فى سورة القصص لأولئك الذين سمعوا الهداية فآمنوا فلما أراد الجاهليون تثبيط همتهم قالوا : سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين يقول الله تعالى :

« الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين ، أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرأون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون ، وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لانبتغى الجاهلين » .

٥٢ — ٥٥ — القصص

ومثل هذه الصورة صورة أخرى فى سورة المائدة حيث بكى القساوسة — الذين أسلموا — لما سمعوا الذكر .

يقول الله تعالى :

« لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لايستكبرون وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ، ومالنا لانؤمن بالله وماجاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين فأثابهم الله بما قالوا جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم »

٨٢ — ٨٦ — المائدة .

فالقساوسة والرهبان الذين تخالط قلوبهم بشاشة الإيمان يسلمون توا بل إنهم ليبكون من شدة فرط فرحتهم بهذا الإيمان .

ذلك لون من ألوان مواقف بعض أهل الكتاب فى جانب الصدق واليقين والجرأة فى إعلان الحق .

الأمر الثانى : أن الصنف الذى يقف موقف العناد والجحود والكفر يلفت القرآن الكريم نظر المسلمين إلى أنه لايجوز اتخاذ صداقة معهم أو معونة منهم .

يقول الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين ، وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله فيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم » ١٠٠ — ١٠١ آل عمران

« يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة من دونكم لايألونكم خبالا ودّوا ماعندتم قد بدت البغضاء من أفواههم وماتخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إذ كنتم تعقلون » .

١١٨ — آل عمران

ومثل هذه النصوص فى سورة المجادلة وسورة الممتحنة .

وتوضح سورة آل عمران الفارق بين نوعين من أهل الكتاب حتى لا يتلجلج المسلمون فى موقفهم يقول الله تعالى :

« ليسوا سواء من أهل الكتاب أمه قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين ، وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين .

إن الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » .

١١٣ — ١١٦ آل عمران

وفى هـذا المضمار من لفت النظر يوضح القرآن الكريم الغاية العليا لأهل الكتاب من الصنف الجاحد الناقم ، انهم يحاولون ردة المسلمين أو ازلالهم .

يقول الله تعالى :

« ودَّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق .»

١٠٩ — البقرة

ويوضح القرآن للمسلمين علة ذلك الداء الذى حاك فى صدور بعض من أهل الكتاب فيقول الله تعالى :

« قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون » . ٥٩ — المائدة

وتطول المناقشات مع هذا الصنف ولا تنتهى إلا بالمباهلة حيث قطعت دابر المماحكات الفلسفية والجدل العقيم .

« إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين إن هذا لهو القصص الحق وما من إله إلا الله وان الله لهو العزيز الحكيم — » ٥٩ — ٦٢ آل عمران

فلم يبق أمام المسلمين عندما يطلبون للحوار والجدل إلا أن يقولوا :

« قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون »[1]

(١) يراجع حول هذا الموضوع باستفاضة كتابنا أضواء على المسيحيه وكتابنا : يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء .

٢

المسيحية الأولى

المسيحية اليهودية

إعلان حلول مملكة الله

« أعنى بالمسيحية هنا ما جاء به المسيح من نصوص كلامه لا ما ألحق بكلامه وسيرته من التأويل »

نظمى لوقا

« ... لا يوجد متدين مهما كان مذهبه أو فرقته يعتقد أن الله العظيم قد أرسل ابنه الوحيد إلى هذه البشرية التى لا توازى — فى مجموعها منذ بدء الخلق إلى نهايته — كوكباً من الكواكب المتناهية فى الصغر لكى يعانى موتا وحشيا فوق الصليب ... لكى يساعد جلالته على أن يغفر للبشرية على شرط أن تعلن البشرية إعترافها بهذا العمل الهمجى الذى لا يستسيغه عقل ... »

روى ديكسون سميث

خلال حكم الامبراطور طيبريوس ظهر بإقليم الجليل شخص يدعى يسوع الناصرى ... لقد راح يعلن عن : قرب حلول مملكة الله ، وينصح الناس بالخير حتى يجدوا سبيلا إلى هذه المملكة ويحصلوا لأنفسهم فيها على مكان ...

لقد ملأ أسماع الدنيا بأن مملكة الله وشيكة ، ودعا الناس إلى أن يترقبوا الانقلاب العظيم الذى سوف يطهر العالم من الظلم ، ومن الشر ، فمن أراد أن يحتل مكانة فى هذه المملكة بين صفوف المختارين فعليه بالتوبة ...

لكن إذا سألنا ما هو الدافع إلى دعوته هذه ؟

هل لأنه يحس بقوة خفية تدفعه إلى ذلك ؟ دفعا ؟ أو :

هل لأنه يحس بالرب فى أعماق شعوره وخبايا صدره كما أحس بذلك سائروا أنبياء اليهود من قبل ؟

هكذا يسأل المسيو شارل جنى بير ثم يجيب :

لنرجع إلى حالة شعب اليهود فى ظل الدولة الرومانية آنذاك

لنتصور مفهوم مملكة الله فى أذهان سامعية وعشاقه وحوارييه .. كما يحلمون بها ويتصورونها

إن البيئة اليهودية فى عصر هيرودوس الأكبر المتوفى عام ٤ ق . م كانت بيئة غاية فى التعقيد ، نعم هى فى الظاهر واحدة فى الجنس واللغة والعادات والتقاليد بل والدين أيضاً ، غير أن باطنها مشتت منقسم مختلف .

والعلة الأولى لهذا الانقسام ترجع إلى ما فعله ملك بابل بتهجير طوائف من اليهود إلى ضفاف نهر الفرات بعد أن هزمهم واندحروا أمام جيوشه ... وكان ملك بابل قد هجر ـ فقط ـ العائلات اليهودية المعروفة بقدرتها على السطو والمنعة ، أما عامة أهل الريف والرعاع فقد تركهم فى ديارهم يمارسون ديانة اسرائيل القديمة .

وكان اعتقاد هؤلاء العوام البسطاء يدين بأن اليهودية دين رجال ولذا فهم لايتهربون من الزيجات المختلطة التى تجلب إلى عروق الشعب اليهودى دماء جديدة من بنات الشعوب الأخرى .

وإذا كانت هذه هى حالة التدين للبسطاء الفلاحين من عامة الشعب اليهودى فإن أهل المهجر قد انقسموا إلى قسمين :

(ا) قسم شارك فى عبادة الأصنام التى يدين بها الفاتحون الذين قهروا اليهود وانتصروا عليهم .

(ب) وقسم حاول المواربة وأعمال الفكر للإتصال بالإله [يهوه] ، فراحوا يتخيلون لأنفسهم مستقبلا أفضل ، وراحوا يبحثون عن وسيلة للخلاص من الكوارث التى حلت بهم، وأعتقدوا أن البلاء الذى حل بهم كان نتيجة لعدم وفائهم بالعهد مع إلههم ، ومن ثم وجب عليهم أن يخضعوا خضوعا تاما فى عبادته للحرفية التى تدل عليها النصوص . ولهذا اتبعوا نظاما صارما ودقيقا وحريصا فى تنفيذ شعائرهم بحيث لم تسمح أساليب التنفيذ لشىء من شعائر الوثنية بالتحليل فى دين [يهوه] .

هذا : بينما ظل اتصال هؤلاء ببنى جلدتهم فى بابل الذين أمدوهم بالمال ، وأيدوهم بالدعاية ، وذلك ليفرضوا أنفسهم على أهل فلسطين من الذين لم يعرفوا المنفى .

أما الذين عادوا من بابل من اليهود فإنهم كانوا يرفضون الزيجات المختلطة ، وهؤلاء هم الكتبة الذين تخصصوا فى دراسة الشرع وتفسيرات النصوص وشرحها ، وهم الذين أفتوا بالطهارة المطلقة كشرط أساسى للتقوى .

وبذا نجد فى البيئة اليهودية أنماطا من التدين :

(ا) رجال الاكليروس : الذين نشأوا حول المعبد الأعظم

وزاولوا تنظيم العبادة فيه ، وهى طبقة لا تختص بدراسة الشرع ، بل هى أشبة بالطبقة المتعبدة المنعزلة .

(ب) الكتبة: وهم الفقهاء المتشاكسون المتنافسون فى تحايل أوجه معانى الكتب المقدسة، بل ويتجادلون فيما إذا كانت البيضة التى تضعها الدجاجة فى يوم السبت تعد طاهرة ؟ أو فيما إذا كان الماء الذى يسكب فى الإناء يعتبر مدنسا حتى منبعه ؟

وكان الشعب اليهودى يطيع رجال الدين لأنهم المرشدون القوميون ، فالحبر الأعظم هو وحده المنوط به تمثيل إسرائيل أمام الأسياد من الفرس أو الأغريق .

كما أن الشعب اليهودى أيضا يبدى إعجابه بالكتبة لأنهم العلماء المدققون البحاثون ألفاهمون المفتون .

غير أن الحقيقة التى كان يتمسك بها هذان الصنفان من قادة الدين فى شعب يهود ، أنهم لم يؤثروا فى روح الشعب ولم يرووا ظمأه إلى التقوى ، فإننا نرى فى تاريخ هذا الشعب فى تلك الحقبة من الزمن أنه كان يسير بالتدرج نحو التشدد الدينى فكان يقاوم المؤثرات الخارجية بقدر ما كان يستطيع ، وكان يبدى غضبه لميل هؤلاء القادة إلى الأخذ بأطراف التيارات الثقافية اليونانية .

وكان شعب يهود يؤمن بأن الإله [يهوه] قادر على كل شيء ولذا فهم لا يفرقون بين الظواهر الطبيعية وبين المعجزة ، بل إنهم ليفسرون كل ما يوحى بالدهشة والحيرة أنه من صنع الإله أو الشيطان لذلك فإنهم مقتنعون بأن تلك الثورة الكبرى التي يأملونها لا بد لها من أن تقوم متى شاءها [يهوه] ولذا فقد ظلوا يترقبون بوادرها عاما بعد عام .

هـذا هو مفهوم حلول مملكة الرب التي يحلم بها شعب يهود أو شعب [يهوه] .

فهل ما نادى به يسوع كان موافقا لهذه الآمال والأماني ؟

يقول المسيو شارل جنى بير :

لم يتحدث يسوع إلى الشعب باللغة التي كان ينتظرها منه ، لقد كان يدعو إلى :

* التأمل في النفس .
* حب الغير .
* التواضع .
* الإيمان العميق بالله.

بينما الناس يترقبون دعوة إلى الصراع المسلح وإعلان الجهاد

الأكبر ، لقد خاب أملهم لأن المسيح الذى أختاره [يهوه] لم يطلب منهم العمل والكفاح بل رجاهم الصبر والتحمل واتخاذ موقف أخلاقى ودينى وذلك فى صورة تجعل من هذا الصبر وهذا الاحتمال فرضا حتميا فيه ما فيه من القسوة على النفس والمشاعر .

لقد كان عيسى من أبناء إسرائيل ولكنه لم يتعصب لقومه ولم يتخذهم فى غالب الأمر موضوعا لدعوته (١) فقد كان يستوى فى نظره الجندى الرومانى التقى المؤمن، أو المرأة الكنعانية المخلصة ، باليهودى الأصلى الذى يأتيه معلنا تصديقه له .

كان عيسى يتحدث كثيراً عن :

العدل ، والسلام ، وعن شوق النفس إلى الوصول إلى سماء الرب ، كما كان يتحدث عن : التوكل ، وعن الصبر .

ولكنه لم يصرح قط بوجوب الثورة ، أو بقرب انتصار شعب الله المختار على سائر الأمم ، وفى ذلك كله نجد حديثه لم يكن ليثير صدى أهل فلسطين المتلهفين إلى يوم الانتصار الموعود . . !!

---

(١) لا نوافق مسيو شارل على هذا الفهم كما لا توافقه نصوص الاناجيل التى تنص على أن عيسى لم يبعث إلا إلى خراف بنى إسرائيل الضالة ، بل إنه رفض الاستماع إلى المرأة الكنعانية وقال لها : مالى ومالك يا امرأة ...

ومن هنا حكم المسيو شارل جنى بير بأن عيسى أخفق فى دعوته وذلك لأن :

(ا) علماء الدين رأوا فيه رجلا جاهلا يتطاول عليهم ويعتقد فى سذاجته أن الحكمة يمكن أن تحل محل العلم ، وأن البصيرة يمكن أن تغنى عن المنطق .

بل أننا إذا حللنا النصوص العديدة التى يعارض فيها المسيح علماء فلسطين اليهود ، وبخاصة تلك النصوص التى كانوا يحاولون استدراجه بالاسئلة الماكرة ، فإننا لا نجد بدا من الاعتقاد بأن نزاعا خفيا مستمرا كان يسود علاقة المسيح بهم .

وعلى أية حال فقد كان المسيح يحترم الشرع ويبدى تمسكا به ولكنه لم يجعل منه همه الأول ، بل أظهر استعدادا لأن يعطى إلهام التقوى المكانة الأولى قبل تعليمات رجال الدين .

(ب) وقساوسة القدس ، والطبقة الممتازة من اليهود كانوا يعتبرونه أكثر الفوضويين خطورة ، وأضرهم بمصالحهم ، لقد كان فى نظرهم خطراً عليهم لأن دعوته تثير فى جموع الشعب حركة من تلك الحركات العنيفة الحمقاء التى يتشدد الرومان دائما فى قمعهما ،

والتى تعلق بال أهل المعبد ، بل وكانوا يرون فى تحدثه إلى الطبقات الدنيا من الناس بقصص ومقارنات لا يمكن أن يؤدى مغزاها إلا إلى إظهار عيوب رجال الدين وإضعاف مركزهم .. ولذا فهم لا يؤمنون به ولا يحبونه .

(ج) أما الشعب اليهودى العام فقد تميز شعوره بالتردد تجاه دعوة المسيح أكثر من ميله إلى مقاومتها .

لقد أذيع أنه أكثر فى ربوع فلسطين من فعل المعجزات ، لقد شفا المرضى والعجزة ، وبدأ بعض الناس ينسب إليه أحياء بعض الموتى ، بينما راح الأعداء من الشعب ينشرون : أن كل تلك الأعمال الخارقة مرجعها الشيطان .. ومع هذا فقد ظل البسطاء من الشعب على حيرتهم .

ويرى المسيو شارلو جنى بير : أن المسيح لم يؤسس شيئا ولم يأت بدين جديد ، ولم يأت حتى بأى من طقوس العبادة جديدا .

إنه لم يأت إلا بتصور شخصى فريد للتقوى فى إطار الديانة اليهودية ، تلك الديانة التى لم يزعم قط أيه يبغى التغيير من معتقداتها أو من شرعها ، أو من شعائرها .

بل أن كل دعوته تنحصر فى :

فكرة حلول مملكة الله التى آمن بها هو كما آمن بها سائر مواطنيه .

بل إنه ليجدر بنا أن نشير إلى أن الطريقة التى عبر بها عن هذه الفكرة لم تكن أصيلة لديه ، بل لعله أخذها عن غيره من سابقيه ، أما أن تنسب إليه أرادة تأسيس كنيسته هو ... كنيسة تختص بالعبادات والطقوس التى يعنيها جميعاً ... فهذا قول لا يقره واقع الأحداث ولا صريح التسلسل التاريخى .

ولن نتعدى الحق إذا أضفنا : أن كل ذلك لا يمكن اعتباره إلا تحريفا لفكرته ، وأنه لم يكن ليرضى عنه قط لو نمى إلى علمه منه شىء .

... وإذن فعيسى نبى الله لبنى اسرائيل ، ودعوته : قرب حلول مملكة الله وهى الأمل المنشود لشعب يهود ولكنه لم يدع إليها بالجهاد الأكبر بل دعا إلى الصبر وحسن التحمل ، ولذلك أبغضوه وكرهوه ، وكفروا به .

ومن هنا فإن الكاتب الفرنسى موريس بوكاى يسمى هذه المسيحية باسم : اليهودية المسيحية ، ويجعلها معادية للمسيحية البولوسية

وهى تسمية تتمشى مع ما استعرضه المسيو شارل جنبير فى دراسانه الموسعة عن المسيحية وتأكيده : أنها ديانة يهودية بالدرجة الأولى .

واستمع إليه وهو يقول :

المسيحية تنبع أساسا من حركة يهودية ، وهى لا تبدوأولا وعلى وجه التخصيص كظاهرة تهم الحياة الدينية لليهود ، وتتميز بها البيئة الفلسطينية ، ولا يمكن تصور قيامها خارج نطاق العالم اليهودى (١) .

إذن : المسيح لم يدع إلى قيام دولة ولا إلى جهاد مقدس ، ولا دعا إلى خلاص شعب يهود من حكم الرومان .

وإذن : فالمسيح لم يسم نفسه : المسيح المنتظر ، ولا وعدهم ببعث المصلوب ...

يقول شارل جنبير :

فمن المؤكد . . أن الروايات الأصيلة لم تجهر صراحة بأن عيسى قد أعلن نفسه مسيحا ، وإننا لنجد نفس الشك تجاه ما يسمى بـ « سر البعث » أى : تلك الوصية التى يروى انجيل مرقس أن

---

(١) راجع كتاب المسيحية . شارل جنى بير ترجمة الإمام الاكبر الدكتور عبد الحليم محمود الفصل الاول . وكتاب دراسة الكتب المقدسة موريس بوكاى ص ٧١ وكتاب : منبعا الاخلاق والدين : هنرى برجسون ص ٢٥٦ .

عيسى أوصى بها تلاميذه فى مناسبات مختلفة مع كثير من التشدد والإلحاح : بأن لا يفشوا شيئاً لما قد يتخيلونه أو يكشف لهم عنه من حقيقة مكانته » .

ما هو الهدف الذى كان يبغيه من إخفاء حقيقة شخصيته والتكتم على رسالته فى نفس الوقت الذى كانت فيه دعوته بحاجة ملحة إلى إعلان سرها لتحقيق مغزاها ؟

والنتيجة الأكيدة لدراسات الباحثين هى : أن عيسى لم يدع قط أنه المسيح المنتظر ، ولم يقل عن نفسه أنه ابن الله ، وماذلك سوى خطأ لغوى فاحش ، وضرب من ضروب السفه فى الدين .

كذلك لا يسمح لنا أى نص من نصوص الأناجيل باطلاق تعبير (ابن الله) على عيسى ، فتلك لغة لم يبدأ فى استخدامها سوى المسيحيين الذين تأثروا بالثقافة اليونانية .

بل : انها اللغة التى استخدمها القديس بولس كما استخدمها مؤلف الأنجيل الرابع .

ولو أراد — عيسى — أن يتخذ لقبا ، لاتخذ لقب : «ابن داود» المعروف بين بنى اسرائيل ، والذى كانوا يعتبرونه لقب : المنقذ

المنتظر ، ولكنه — أى المسيح — لم يفعل .. وهو كذلك لم يتخذ اللقب الذى يبدو أن أناجيلنا ترى فيه أخص خصائص شخصيته ورسالته ألا وهو : « ابن الإنسان » أو على الأقل : فهو لم يستخدمه فى معنى : المنقذ المنتظر ، فاليهود فى ذلك العصر كانوا يجهلون هذا المعنى لتعبير : ابن الإنسان ، وإن كان النص المشهور من كتاب دانيال يقول :

كنت أتأمل فى رؤى الليل فإذا بى
أرى قادمة على سحب السماء . صورة
كصورة « ابن الإنسان » ٧ / ١٣ — ١٤

فإن هذا النص لم يستخدمه كهنة اليهود فى تصوير مجىء المسيح المنتظر ولم يدخل معابدهم بهذا المعنى إلا فى عصر متأخر تحت تأثير المسيحية التى أذاعته[١] .

ومع ما يكنه المستر جروف ساموريل من تعصب شديد للمسيحية فإنه لا يقدر أن يخفى أنها يهودية الأصل والمنبع يقول :

(١) شارل جنى بير : المسيحية نشأتها وتطورها ص ٤٠ .

لابد للكلام عن المسيحية من التوطئة بالكلام عن اليهودية التى تعد المسيحية وليدة منها [1] .

وإلى هذا الاتجاه يسير هنرى برجسون فى فهمه للمسيحية يقول : « ويمكن أن يعد المسيح متمما لأنبياء بنى اسرائيل ، فما لا شك فيه أن المسيحية كانت تحولا عميقاً لليهودية ، وقد قلنا هذا غير مرة : أن هذا الدين الذى كان لا يزال قوميا فى جوهره قد حل محله دين آخر قادر على أن يكون عاما » [2]

يقول أرثر فندلاى :

لقد خاب الحواريون فى زعمهم فى المسيح حتى انبرى لهم بولس المدعو رسولا ورأى فى هذه من بلبلة الأفكار أن يجمع شتات الفكر فى عقيدة يكرز بها ويبشر فكان أن اعتبر شخصية عيسى عليه السلام ملكا مخلصا ، ولعله استقى هذا الاعتبار من الديانة السائدة فى تلك الأيام .

ويؤكد أثر فندلاى هذه الحقيقة فى كتابه : صخرة الحق ، فيذكر

---

(١) جروف ساموبل كتاب : المجتمع ومشاكله ص ٢٦٣ .

(٢) هنرى برجسون كتاب : منبعا الاخلاق والدين ص ٢٥٦ .

ستة عشر إلها ملكا مخلصاً « بتشديد اللام » عرفوا قبل مجيء المسيح ، وهؤلاء في تواضعهم وحبهم لبني قومهم ماتوا الأجل خطايا العالم وسمى كل واحد منهم إلها مخلصاً وأعطى لقب المسيح(١)

فالمسيحية الأولى التي جاء بها عيسى هي :

رسالة موجهة بالدرجة الأولى إلى اليهود ، فهي ديانة يهودية أولا وقبل كل شيء ثم اليهود الذين آمنوا بعيسى صيروها يهودية مسيحية أو مسيحية اليهود .

(١) محمد في التوراة والإنجيل والقرآن ص ٤٦ — ٤٧ .

الاضهاد والتحليل العلمى

غير أن التحليل العلمى الذى قام به جلة من علماء مقارنة الأديان المسيحية فى جامعاتهم المسيحية لم يجعلهم يغمضوا العين عن الاضهاد الذى نشأت فى أجوائه حياة يسوع ففى انجيل متى :

[حينئذ دعا هيرودس المجوس سرا
وتحقق منهم زمان النجم الذى ظهر ، ثم
أرسلهم إلى بيت لحم وقال : اذهبوا
وأفحصوا بالتدقيق عن الصبى ، ومتى
وجدتموه فأخبرونى لكى آتى أنا أيضاً
وأسجد له .

... فلما رأوا النجم فرحوا فرحا عظيما
جدا ، وأتوا إلى البيت ورأوا الصبى
... ثم فتحوا كنوزهم وقدموا له هدايا
ذهبا ولبانا ومرا ، ثم إذا أوحى إليهم
فى حلم أن لا يرجعوا إلى هيرودس انصرفوا

---

(١) راجع تحقيق هذا الادعاء فى كتابنا : آلهة فى الاسواق : المقالة الرابعة .

فى طريق آخر إلى كورتهم، وبعدما انصرفوا
إذا ملاك الرب قد ظهر ليوسف فى حلم قائلا
قم وخذ الصبي وأمه واهرب إلى مصر وكن
هناك حتى أقول لك لأن هيردوس مزمع
أن يطلب منك الصبي ليهلكه » .

متى الاصحاح الثانى الفقرات من ٧/١٥

فالنص يفيد أن يسوع ولد وسط جو عدائى من الدولة ، يقول مسيو جنى بير :

على أى حال فإننا نعتقد أن الحاكم الرومانى كان يعرف الملهمين من اليهود من قبل ، ويعرف أيضاً أنه يجب عليه الاحتياط منهم ، لذلك لم يكن من العسير على العلماء والقساوسة أن يقنعوه بخطر هذا الرجل من أهل الجليل الذى لا أصل له، ويقنعوه كذلك بضرورة وضع حد للفوضى التى يثيرها حفاظا على النظام . فأمر بيلاطس بالقبض على عيسى ، وحاكمه ، وصلبه ، ولم يتدخل الشعب فى شيء .

ولم يكن عيسى قد توقع ما حدث له فى القدس ، وارتباك اتباعه وهروبهم هو الدليل الواضح على ذلك .

ولقد بدأ وكأن حكم بيلاطس العنيف كان الضربة القاضية على أحلامه ، والقاصمة لدعوته ...

ومن المرجح أن نفسه قد تملكها القلق أواخر أيامه فيما يتعلق بالمستقبل[١] والحيرة فيما يتعلق بالحاضر، ولم لا ؟ لقد تملكه الشك في ذاتها ، وأقضتها فكرة الموت الذى اقترب ، ولم يحقق من دعوته [مملكة الله] شيئا ، غير أننا — يعنى مسيو شارل — لا نجد من الأدلة ما يسمح لنا بالقول : بأنه رأى حينئذ أن صلبه أمر ضرورى لإتمام رسالته ، بل كلها تشير إلى أنه لم يدع قط شيئا من هذا .

والحق يجب أن يقال : ما دامت المعجزة التى بشر بها لم تتحقق وهى : مملكة الله ، وما دام [يهوه] لم ينشر ظله على الأرض فما عسى أن يفعله عيسى سوى أن يلجأ مسرعا إلى الجليل ، أو أن يحنى رأسه أمام قدره المحتوم . ؟؟

ولعله يكون قد فكر فى العودة إلى مسقط رأسه ، وقد ظن البعض ذلك اعتمادا على انجيل متى الذى يروى أنه ضرب لأتباعه موعدا بالجليل ... وعلى أى حال فلم تتح له فسحة من الوقت كافية لتحقيق هذه الخطة إن كان اختطها[٢] .

---

(١) هذه النتيجة التى توصل إليها الباحث واضحة فى قوله تعالى : « فلما أحس عيسى منهم الكفر ... الآية .

(٢) بتصرف من المسيحية شارل جنى بير ص ٤٧ — ٤٨ .

وهكذا يصور لنا المسيو شارل جنى بير حياة عيسى فى جو رهيب من الاضطهاد ، ويفسر لنا الصلب على أنه كان نهاية للفوضى التى أصابت حكم الدولة فوضعت لها حدا بهذا الإعدام البشع فى الأسلوب والمظهر ، وأن الأتباع لم يحركوا ساكنا لإنقاذه ، بل حتى ولا الشفاعة من أجله .

وفى متى نص يجرم التلاميذ إذ يقول : حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا . الإصحاح ٢٦ فقرة ٥٦

قال لهم بيلاطى فماذا أفعل بيسوع الذى يدعى المسيح .

قال له الجميع : ليصلب ، فقال الوالى : وأى شر عمل ؟ ، فكانوا يزدادون صراخا قائلين : ليصلب ، فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئا بل الحرى يحدث شغبا ، أخذ ماء وغسل يديه قدام الجميع قائلا : إنى برىء من دم هذا البار أبصروا أنتم ، فأجاب جميع الشعب وقالوا : دمه علينا وعلى أولادنا . حينئذ أطلق لهم باباراس ، وأما يسوع فجلده وأسلمه ليصلب

متى الإصحاح ٢٧ فقرات ٢٢/٢٦

إذن فضيحة الصلب فيما يبدو وضعت حدا لمحاولة عيسى إثارة الشعب

كما عبر عن ذلك فى إنجيل متى ولذا يصف عمله ونشاطه مسيو شارل بقوله :

لقد قام بالتبشير بأحداث لم تتحقق ثم مات ، وتشتت أتباعه فى ذعر شديد ، وذهبوا إلى حد التنكر للأمل الذى غرسه الأستاذ فى قلوبهم فندموا على الخطأ الذى وقعوا فيه جميعا[1]

* * *

وتلك خاتمة المسيحية الأولى — يهودية المسيحية ، أو مسيحية اليهود التى عاشت فى بيئتها اليهودية مضطهدة مبغوضة مكروهة من رجال الحكم ، ومن أغنياء اليهود ، ومن رجال المعبد ومن فقهاء الشرع ومن المتدينين بشريعة موسى فيما يزعمون .

(١) بتصرف عن شارل جنى بير من كتابه المسيحية ص ٤٨ .

٣

المسيحية الثانية

نبوات الحواريين

كانت دعوة عيسى لديهم مرتبطة بشخص عيسى نفسه ، فإن هم أقروا باختفائه إلى الأبد كان ذلك إقراراً بالتخلى عن كل أمل لهم فى تحقق كلمته ، وتبلور إيمانهم وركز على فكرة واحدة ثابتة هى قولهم لأنفسهم :

لا يمكن أن يكون عيسى قد تنكر لنا ؛
ولا يمكن أن يكون موته أمراً نهائيا ...

شارل جنى بير

وكانت فكرة حلول مملكة الله الفكرة الأساسية فى دعوة عيسى أما دعوة الحواريين فقد تحولت إلى فكرة ركيزة هى : أن عيسى هو المسيح الموعود وإلى قرب عودته إلى هذه الدنيا .

شارل جنى بير

المسيحية الثانية

تهيؤات الحواريين

عودة المسيح المنتظر

كانت فكرة قرب حلول مملكة الله هى الفكرة الأساسية فى دعوة عيسى فلما انتهى أمره إلى الصلب أصيب الاتباع بخيبة أمل كبرى فراح خيالهم الفسيح يؤول الوقائع المادية إلى معانى خيالية .

لقد قالوا إن عيسى لم يمت إلا ليبعث ، والبعث هو الدلالة العظيمة على التشريف الذى خص به يسوع .

وطور المؤولون هذا التفلسف إلى أن قالوا : إن الموت الذى وقع على عيسى بالصورة التى تم بها هو السر الأعظم والهدف الأول من حياة عيسى ومن عمله .

ولهذا قال الحواريون : ان عيسى هو المسيح الموعود وان عودته إلى هذه الدنيا قريبة .

وأعمال الرسل توضح أن الأثنى عشر حواريا من أصحاب عيسى سوف يعودون إلى القدس لشرح هاتين الفكرتين : ـ

● عيسى هو المسيح المنتظر

● وعودته إلى الدنيا قريبة

والمحللون المسيحيون لهذه الحقبة من الزمن يقولون :

إنه لامناص لنا من الاعتراف بأن هؤلاء الأصحاب كانوا يمتازون بخيال دافق يزيد عن الحد ، إذ أن المنطق وواقع الأحوال كانا ما ينبئان فى صراحة تامة بأنهم لن يلاقوا من النجاح أكثر مما لاقاه سيدهم يسوع وأنهم لابد سائرون إلى نهاية مثل نهايته .

وبتتبع التاريخ الكنسى نجد أن هؤلاء الأتباع أثاروا عداوة الكتبة والكهنة وكونوا حولهم موجة من الكراهية سببت لهم ألوانا من الاضطهاد والتعذيب والتشريد حتى بدأ للعيان ضعف أمرهم وأصبح مما لا جدال فيه أن هؤلاء القوم سوف يفنون بفناء الجيل الذى نشأت فيه دعوتهم ، وأن ذكرى . إتباع عيسى الناصرى سوف يطويها النسيان كما طوى من قبل إتباع يوحنا المعمدان وغيره من أنبياء بنى إسرائيل .

من هنا يظهر أن عمل الحواريين قد اكتنفه عدة عوامل .

<u>الأول</u> : أن حبهم لاستاذهم أحدث لهم تهيؤات عوضتهم عن النكسة التى فاجاهم بها صلب يسوع .

الثانى : أن الجو الإرهابى ظل يلاحقهم .

الثالث : أن اليهود فى المهجر كانوا قد انتشروا حول حوض البحر الأبيض ولكنهم مع هذا لم ينسوا أصلهم ولا دينهم وعملوا على الحصول على حقوق خاصة لهم داخل الدولة الرومانية القديمة حتى منحوا إمتيازات بدستور فعلى يحميهم فى سائر أرجاء الأمبراطورية .

غير أن هؤلاء لم يحتفظوا بالصورة الكاملة لروح أخوانهم فى الدين من أهل فلسطين فقد لانت عاداتهم ولان معهاعداؤهم للأجنبى فى ربوع الأمبراطورية فتأثروا بالثقافة اليونانية .

ولهذا نرى أن العقائد التى اعتبرها يهود فلسطين عقائد أساسية قد خفت وذابت لدى أخوانهم ببلاد اليونان .

وكان اليهود فى بابل وإيران قد نالهم شىء من التأثير العقدى والدينى طردا وعكسا إلى درجة أن التآليف الدينة فى هذه البيئة قد اتخذت من اليهودية عنصراً لقيام الدين الجديد الماندائية وهى نوع من الخلط الدينى من اليهودية والعقائد البابلية الوثنية وهذا يعطينا فكرة أن الأديان فى آسيا شاركت فى فكرة ترقب أو عبادة (منقذ إلهى) وأن تفاوتت أشكال هذا الترقب ولهذا فإن التبشير بهذه المملكة لم يكن من الحواريين الذين كانوا فى فلسطين

يقول شارل جنى بير :—

لم يكن أصحاب عيسى هم السبب فى هذا النشاط ، بل لم يكن يدور بخلدهم تبريره ولكنهم بعثوا إلى أنطاكية برسول مؤمن هو برنابا ليدرس الموقف الذى يبدو أنه أثار لديهم والشك والقلق .

ولعل الذى حدث فى انطاكية كان نتيجة للمعارف التى تلقوها أهلها من الحواريين المقيمين فى فلسطين لأن مجموعة أعمال الرسل تقضى :— أن الحواريين إستمالوا إلى عقيدتهم يهود اليونان الذين وفدوا إلى القدس للأحتفال بالأعياد ومنهم فرقة عادت إلى هناك وبقيت فئة أخرى لكنها لم تلبث طويلا لأنها طردت أثر مقتل الشماس (أثنين) على أيدى القضاه اليهود[١] فرحل هؤلاء إلى فينقيا وقبرص ، وانطاكية ، حيث راحوا بدورهم يبشرون بعيسى فى المعابد[٢] .

ولم يكن أصحاب عيسى إذن هم السبب فى التبشير خارج القدس بل لم يكن يدور بخلدهم هذا لأنه لم يكن فى مقدورهم أن يقوموا بمثل هذا النشاط لأن الأخطار تهددهم من كل جانب بل أن فكرة

---

(١) معنى شماس معاون وهو لفظ سريانى راجع أعمال الرسل ٦/٩ ، ٧ ، ٥٧

(٢) راجع أعمال الرسل ١١/١٥ .

حلول مملكة الله التى دعا إليها المسيح ، وفكرة عودة السيد المسيح التى يدعيها الحواريون وضرب من الادعاء لا يصمد مع طول الزمن إذن : لم يقدم أصحاب يسوع شيئاً للتبشير بأستاذهم عودة أو دعوة (حلول مملكة الله) وإنما الذى بشرهم الأتباع الجدد الذى دفعهم الحماس لتكريس جهودهم بإخلاص لمواصلة هذا العمل .

وفى مقدمة هؤلاء الاتباع الذين ليسوا من الحواريين برنابا يقول شارل جنى بير : — أن حماس الاتباع الجدد لم يلبث أن أنتقل إلى برنابا الذى رأى ظاهرة انتشار الدعوة نفحة إلهية فكرس كل جهوده فى اخلاص عميق لمواصلة هذه المبادأه المثمره فى مجال العمل التبشيرى ورحل إلى طرطوس حيث كان يقيم بولس ...

ولهذا فإنه من العسير جداً أن يتعرف الباحث على وجه التحديد بالدور الذى قام به الحواريون .

إن الحق يقال : أن الأثنى عشر لم يلاقوا فى القدس من النجاح سوى القدر اليسير الذى كان يمكن لأى رجل منصف أن يتوقعه لقد كسبو بضع عشرات من الناس مثلما هو الحال بالنسبة إلى كل فرقة دينية جديدة ، وحافظوا على صلات طيبة مع الشعب بفضل شدة تمسكهم بالتقاليد اليهودية ومواظبتهم على زيارة المعبد .

ولكنهم أثاروا عداوة الكتبة والكهنة واحتقارهم ولاقوا منهم ألوانا من الاضطهاد لقد تجمع الأتباع حول بطرس لإعادة بناء الحلم الضائع [حلول مملكة الله] ومحاولة استرجاع الآمال التي غرسها استاذهم لكنهم كانوا :

(ا) سذج بسطاء ليس لهم شأن بين قومهم كما أنهم لا يمتازون بثقافة كبيرة .

(ب) واقتصروا على الرغبة فى دفع خراف بنى اسرائيل الضالة نحو طريق النجاة .

(ح) وكانوا شديدى التعصب لبنى جلدتهم بل أنهم فاقوا فى ذلك عيسى نفسه .

ولهذا فإن فكرة التبشير بين الوثنيين كانت بعيدة كل البعد عن عقولهم وأحلامهم . بل إنه كان حسب الواقع الذى يعيشون فيه : أن التبشير بالإنجيل بين رجال لم يؤمنوا بالعقيدة اليهودية ضرب من المستحيل[1] .

ولهذا انحصرت دعوتهم فى القدس حول : عودة السيد المسيح وهو ضرب من الادعاء لا يتحمل الصمود أمام عوامل الزمن

---

(١) المسيحية جنى بير ص ٥٥/٥٦ .

ولهذا فإنه من الصعب الاعتقاد بأنهم قاموا بأعمال خارقه بل من المؤكد أنهم لم يكونوا ليستطيعوا ذلك .

وإن خاتمه حياتهم لتبرهن على ذلك بوضوح وصدق لأن بطرس ويعقوب الأكبر ويعقوب الأصغر وأيضاً حنا في حقيقة الأمر قدماتوا اقتلى

ويوضح ذلك الأمر باستفاضة الاستاذ زكى شنوده المحامى المصرى فى كتابة تاريخ الأقباط .

وقد اشتد هيرودس الملك على المسيحين فقتل يعقوب أخا يوحنا وسجن بطرس وعذب سائر الرسل وأهانهم[١] .

ويقول عن متى :

يدعى لاوى بن حلفى وكان من العشارين أى جباة الشعور وهى الضرائب وقد كان من أوائل من أختارهم المسيح ... بشر فى فلسطين وفى صور وصيدا ، ثم انطلق إلى بلاد الحبشة وصنع بها عجائب ... ومن ثم أطاق الملك عليه جنوده فامسكوه وضربوه ضرباً مبرحاً حتى مات شهيداً .

ويقول عن مرقص :

اسمه يوحنا أما مرقص فلقبه وأصله من اليهود القاطنين من الغرب فى شمال أفريقيا هاجر أبواه إلى فلسطين وكان من أوائل الذين آمنوا

---

(١) ص ٥٧ .

بالمسيح فاختاره ضمن السبعين، في بيته حل روح القدس على التلاميذ، بشر في أنطاكيه وأسيا الصغرى وقصد إلى مصر فأسس كنيستها وكان أول بطريرك بها ثم غادرها إلى روما حيث وقع في الأسر مع بولس.. ثم عاد إلى الإسكندرية وراح يدعوا إلى الإيمان فقام عليه الدثنيون وراحوا يشكلون به ويعذبونه حتى مات شهيداً.

ومات لوقا شهيداً في مدينة بتراس[١].

ويؤكد ضعف قيام الحواريين بدعوتهم السيد شحادة خوى وأخوه نقولا في كتابهما: خلاصه تاريخ كنيسة أورشليم الارثوذكسية بقولان «حدث يوماً بينما بطرس كان صاعداً إلى الهيكل ان بصر بمخلع في باب الهيكل فشفاه فنمون الكتبة والفريسون ورؤساء الشعب اليهودى من اليعاقبه فأثاروا اضطهاداً عنيفاً على المؤمنين وقبضوا على بطرس فطرحوه في السجن واشتهر أحد الشمامسة السبعة واسمه استفانس بتقواه فقبض عليه اليهود ورجموه بالحجارة مدعين أنه جدف على الله وعلى موسى.

وكان هذا الاضطهاد مدعاة إلى التبشير والكرازه خارج أورشليم[٢].

(١) تاريخ الأقباط ص ٧٥/٧٦.
(٢) — ص ٢/٣

فان المؤمن لخوفهم من اليهود تشتتوا فى مدن فلسطين وقراها

ولهذه الإعترافات من هؤلاء المسيحيين كان حقا ماقاله العالم الفرنسى جنى بير : —

لم يؤمن اليهود بعيسى أثناء حياته فكيف يتعلقون به بعد مماته وقد تجمعت الدلائل على أنه غرر بهم(١). حتى بنفسه فلم يستطع لها تجاه يوم التعذيب بل مات يائسا والناس تنظر إليه .

أيقولون أنه قد بعث ؟

ولكن من هم الشهود على ذلك ؟

إنهم هم الأتباع فحسب فما أضعفه من برهان .

وتدعى بعض الأساطير اللاحقه أن اندريا قد ارتحل إلى بلاد السيخ بينما توجه يعقوب الأكبر إلى اسبانيا وأخوه حنا إلى آسيا الصغرى وتوماس إلى الهند والصين وبطرس إلى روما.. وليست قصصهم جميعاً بالضاربة فى الخيال إلا أن الجزم بصحة أى منها أمر محال

والنتيجة : —

أنه أصبح هؤلاء المسيحيون ينظرون إلى المسيحية نظرة استياء .

أما الروح الجديدة التى أحيت المسيحية فقدانتها أنها من بيئة أخرى

والخلاصة : أن عمل الحواريين كان ضعيفاً من حيث الهمة وكان قاصراً على البيئة اليهودية من حيث الدعوة وأنهم بدلوا دعوه عيسى من :

---

(١) المسيحية جنى بير ص ٦٦ ، قصة الحضارة جـ ١١ ص ٢٤٤ .

قرب حلول مملكة الله

إلى

عودة يسوع المنتظر وإلى قرب عودته

* وأنهم فشلوا تماما فى اقناع اليهود بهذين الشعارين
* وأن التبشير خارج فلسطين فى يهود المهجر كان من الأتباع اليهود الذين طردوا أو الذين جاءوا للزيارة
* وأن المجتمع العالمى قابل المبشرين بالضرب والرجم والقتل وأن هذا السطور من هذه الديانة لم يعد الفكرة اليهودية الأولى التى دعا إليها عيسى ولم ينجح

٤

المسيحية الثالثة

مسيحية بولس

وكان بولس على علم بأن عملية الختان لا يرضى عنها أهل اليونان ، وبأن أغلب أحكام الشريعة اليهودية للحياة العملية لا تتفق مع عاداتهم وأساليب تفكيرهم فلم يلبث أن آمن بأن تعاليم هذه الشريعة قد نسختها تعاليم المسيح بل إن المسيح أتى خصيصا ليبدل عهدا قديما بعهد جديد، وأذعن الإثنا عشر لبولس مرة أخرى ، فتقبلوا فكرة إعفاء الأتباع الجدد فى ديار الوثنية من أحكام شريعة اليهود ، وكان المعنى الضمنى لهذا الإجراء التفرقة بين المسيحية واليهودية ودفع الأولى إلى أن تصبح دينا متميزا .

شارل جنى بير

المسيحية الثالثة

المسيحية البولسية

بولس ـ شاول

وما زالت المسيحية إلى هذا الطور تعيش داخل بيئة ديكتاتورية أسلوبها القهر والكراهية والتعذيب للفكرة اليهودية - المسيحية التى اعتبروها مصدر قلاقل وعبث وفوضى والتى راح ضحيتها الأستاذ والأتباع ...

وكان بولس ـ شاول من مخابرات هذا العهد الذى أمعن فى اضطهاد أتباع الأستاذ المعلم يسوع.. لكنه فجأة يتحول إلى [المسيح المنتظر] لأنه الذى خلص المسيحية من كثير من العثرات .. فقد وصفه شحادة نقولا بأنه : الذى اعتز به الدين المسيحى(1) .

ويصفه زكى شنوده بأنه: قام بأعظم عمل تبشيرى فى تاريخ المسيحية غير أن الحكم عليه بهذه السهولة أمر مخالف للبحث العلمى

(1) خلاصة تاريخ كنيسة أورشليم الأرثوذكسية ص ٤ .

ومخالف للحقيقة التي يجب أن ينشدها طالبو المعرفة الصحيحة والذى يجعلنا بهذا نقضى كثرة النصوص التي تصور شاول ـ بولس بالإجرام وتتهمه بالتجسس لحساب الامبراطورية ضد الاتباع والقسس .

فى الأصحاح ٨ الفقرات ١ —٣ يقول فى أعمال الرسل :

أما شاول فكان يسطو على الكنيسة وهو يدخل البيوت

ويجر رجالا ونساء ويسلمهم إلى السجن .

وفى الأصحاح التاسع الفقرة يقول :

أما شاول فكان لم نزل ينفث تهدداً وقتلا على تلاميذ الرب

ويقول فى نفس الإصحاح فى الفقرة ٢٦

ولما جاء شاول إلى أورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ وكان الجميع يخافون غيرمصدقين أنه تلميذ فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل لهذا فليس من السهل علمياً أن يوصف بأنه هو الذى اعتزت به المسيحية .. يمكن أن يقال هو الذى أسس المسيحية التي ابتكرها ابتكاراً يخالف مسيحية عيسى اليهودية — ومسيحية الحواريين اليهودية .

يمكن أن يقال أنه مؤسس نظام جديد نسبه إلى المسيح وسماه

---

(١) تاريخ الأقباط جـ١ ص٧٨ .

المسيحية لأنه أدخل في الدين الذي جاء به عيسى ما لم يقله عيسى الذي كان يدعو إلى حلول مملكة الرب — والذي لم يقله الحواريون كذلك الذين كان يدعون إلى عودة السيد المسيح .

ومن هنا وجب إلقاء ضوء واضح على حياته الاجتماعية والفكرية والدينية ليتضح بالمنهج العلمي أن شاول ضم مسيحية ثالثة تغاير الذي جاء به عيسى والذي ابتدعه من بعده الحواريون .

شاول النشأة والثقافة

(ا) البيئة المحلية :

ولد شاول بولس في طرطوس من أسرة يهودية وكان لهذه الأسرة مورد متزن من الرزق وذلك بحكم موقع طرطوس فهي تقع في نهاية حدود إقليم سيليفيا — فهي مفتاح الدخول إليه وبخاصة فيما يتعلق بالاتصال بين هضبة آسيا الصغرى وبين بلاد الشام، وكذلك تفرق الطريق التجاري من اليونان وايطاليا وقبرص والشام ومصر. ومع السيول التجارية التي كانت ترد على هذه المدينة كانت هناك سيول فكرية أخرى ، ولقد حاول أنطاكيوس عام ١٧١ ق . م أن يصبغ طرطوس بالصبغة الإغريقية لكنها مع هذه المحاولة بقيت شرقية في المعتقدات السائدة .

ومع هذا فقد انتشر وأزهر فيها مدارس يونانية وقام بها مستوى علمى يساوى الجامعة فى عصرنا الحاضر يمكن أن يوصف بأنه ركيزة علمية للدراسات الفلسفية .

وكانت الفلسفة السائدة فى هذه المدارس الفلسفة الرواقية تلك التى تعتقد فى الألوهية المتعددة والجن والأرواح بأشكالها المختلفة — والآلهة فى الفكر الرواقى تساوى غالبا : القوى والظواهر الطبيعية ، وقد أدمجوا التدين الشيعى فى مذهبهم بأسلوب الرموز التى اتبعها تلاميذ هيراقليطى ، وتدين الرواقية بأن كل فرد من هذه الكائنات مصيره إلى الفناء ، ويتبع ذلك حتماً أن العالم فى مجموعه لن يشذ عن هذا القانون العام المحتوم الذى سيلقاه كل كائن حى .

وقد نقى الرواقيون الفلسفة الطبيعية من الجدل المعقد الذى ولع به القدماء المشتغلون بالعلوم الشعرية . فالوجود وحده هو الوجود ، والعدم لا يعد شيئا ويرون أن الغاية من العلم الأخلاق سواء كان العلم جدلياً أو طبيعيا ، والأخلاق بدورها تؤدى إلى سعادة ، وتعتبر فلسفة الأخلاق هذا البحث الأعظم من جميع مباحث المذهب الرواقى .

وهى ترى أن الإنسان لكى يكون سعيداً لا بد من أن يكون على

وفاق مع طبيعته الخاصة التى أعدتها الروح إعداداً خاصاً .. فلكل من الفضيلة والسعادة شرط أساس هو: الاستقلال والتحرر والسيادة الذاتية[1] .

هذا المذهب الرواقى الذى ساد فى مدرسة طرطوس الثقافية لم يكتف أساتذته يدرسونه فقط .. بل عملوا على جعله حملة تبشيرية ذات طابع شعبي يشق مع طرق تفكير الجماهير .

ومن هنا ندرك أن شاول بولس كان له دراية بأصول هذا المذهب الرواقى .. لا لأنه كان طالباً فى الجامعة .. بل لأنه عاش وسط مجتمع تشبع بالتراث اليونانى الرواقى .. ذلك الذى نشره أساتذته بالأسلوب الفلسفى والخطاب معاً ..

وخلاصة القول فى نشأته وثقافته : أنه ولد بأرض يونانية .. وتحدث بلغة يونانية .. وكتب بها منذ نشأته .. وكان ينتمى إلى أسرة يهودية ذات شأن .

فهو بكل هذه الخصائص كان معداً إعداداً يجعله يتطلع لإدراك طموح يهود المهجر الذين آمنوا بعيسى وقد عرفنا أن اليهود فى المهجر لهم خاصتان :

(١) الفلسفة اليونانية تأليف البير ريفو ترجمة الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود وفضيلة الشيخ أبو بكر زكرى ص٢٠٩ — ٢١٣ .

الأولى : تعصبهم الشديد لبني جلدهم ودينهم .

الثانية : محاولة التكيف مع البيئة التي يعيشون فيها .. فهم لذا اكثريون من يهود فلسطين .

(ب) البيئة المجاورة :

عجت المنطقة من حوالى طرطوس والتي تلتقى فيها لإنجاز بها التجارى والفكرى .. عجت بعديد من الأفكار الألوهية .. وكان بين هذه الآلهة أوجه شبه فيما يتعلق بالتعدد ومعنى الأسرة والعائلة ، وموت الآلهة فى بعض المواسم ثم حياتهم بعد ذلك فى موسم آخر ، وأن الآلهة فيها مفهوم البشرية من حيث العلاقات الزوجية أمثال الآله آتس الراعى آه أدونيس الذى يروى أنه ثمرة علاقات غير مشروعة بين أخ وأخت(١) .

وقد أثير جدل واسع حول هذه الآلهة المختلفة وحول الرموز والأساطير التى يمثلونها — وكان مثيراً إله فارس آلها شمسيا يحتفلون بمولده فى الخامس والعشرين من شهر ديسمبر . يعنى فى مولد الانقلاب الشتوى .

(١) كان إلها يعبد فى الشام — وآنا آتيس فتعبد الفرنجة .

ويبدو أن أوزوريس إله مصر كان قمريا[1] — ولعله لم يكن كذلك فى البدء .

وانما تموز فهو من آلهة الزراعة فى ربوع ما بين النهرين ومن رمزيته أنه يقضى عليه فى قيظ الصيف كما يحيا أو يبعث مع أول نسمات الربيع — وهكذا بالنسبة إلى أغلب الآلهة الذين يموتون ثم يبعثون .

وكانت الطقوس والشعائر التى تنظم للإحتفال بهؤلاء الآلهة تجعل تجدد الاتحاد مترتباً على تناول المؤمنين الطعام — المـآدب الخاصة بالإله — وهى صوره الاتحاد بين الآلهة والمؤمنين .

وهذا السلوك تأثرت به الحياة المسيحية بعد أن أدخلها بولس الذى عاش هذه الحياة فى طرطوس ثم دراسته بالقدس حسبما تروى فقرات أصحاح « أعمال الرسل » .

ولهذا يقول السيد شارل جنى بير :

« وفصل الخطاب على أى حال أننا نستطيع تأكيد حقيقة لا يمكن الجدل فيها تلك هى : أن طرطوس لم تصبح بمحض المصادفة مهـداً للحوارى المرسل إلى المشركين أى الرجل الذى ساهم بأكبر قسط فى نشر دين جديد للنجاة باسم السيد المسيح عيسى .

(١) راجع كتابنا آلهه فى الأسواق — المقالة الرابعة — خرفة الكهانة المصرية .

وإنما كانت نتيجة لعوامل متعددة :

ومن ناحية أخرى فإننا إن نظرنا إلى ملكات بولس العامة فى التبشير ـ حسب أساليبه اليونانية والرومانية ـ بعقيدة يهودية الأصل نجد أنه كان فى وضع يلائم تحقيق عملة كل الملاءمة . .

فقد جمع بين مميزات ثلاثة :

كان يونانيا .

وكان يهوديا .

ثم كان أيضاً رومانيا .

ومعنى هذا :

أنه كيونانى أشرب شيئا من الروح الإغريقيه فى طرطوس وأنه لقن اللغة اليونانية فمنح بذلك أقوى أداة للفكر وللعمل . نعم هو ليس من الأدباء ولم يتخرج على أيدى أساتذة المدارس العليا، ونعم أنه لم يقم بدراسة مستفيضة عن الأسرار .

لكنه عاش فى وسط يتحدث باليونانية ويستخدم كلمات مثل :

الله — العقل — المنقذ — المنطق — الروح — الضمير ..

فلم تكن هذه الكلمات غريبة عليه ، ولقد بقيت المصطلحات الفلسفية التى كانت تستخدم فى هذا الوسط فى ذهن داعية المسيحية (بولس) .

وكان هذا الوسط صاحب آمال فى الحياة الآخرة، ولم يكن بولس يجهل هذه الآمال :

ومعنى أنه يهودى :

أنه تدرج فى الثقافة اليهودية لهذا العصر حتى بلغ منتهاها ، وهى ثقافة يجعل همها الأكبر التبحر فى دراسة النصوص المقدسة، وقد جاء فى أعمال الرسل ٢٢/٣ أن بولس تربى على أعلى أعتاب (جما ليال) وهى القدس .

ويشهد لهذا أنه فى أعمال الرسل يستخدم أسلوبا يدل على معرفته .

بالنصوص المقدسة التي كانت تستخدم لليهود وأنها من نفس أساليب الفريسيين المثقفين من حيث عشق الجدل وحبك المواربات والقدرة على التأويل ومهاجمة الشريعة اليهودية .

لقد جمع بولس من اليهودية واليونانية ثم أضاف إليهما ميزة ثالثة غاليه هي :

تمتعه بالجنسية الرومانية أوحصوله على لقب المواطن الروماني . وهي ميزة ذات نفع كبير لأنها تحميه من الإنزلاق إلى تعصب يهود فلسطين القومي المعروف بكراهيته للأجنبي ، ثم كانت السبب اللاشعوري واللارادي في جعل بولس منشيء المستقبل ، منشيء المسيحية الثالثه التي فصلها عن عقيدة اليهود[1] .

(١) راجع شارل جنى بير — المسيحية ص ٨٣/٨٥ .

تاسيس المسيحية المستقلة

أعمـــال بولس

من العسير علمياً عند شارل جنى بير تحديد الصلة بين شاول — بولس وبين عيسى ، ويقطع المؤرخ الألمانى « هاتيمولير » بأن شاول — بولس لم يلتق قط بعيسى ولم يتعلم عن الحواريين شيئا ولكنه أخذ عن الهلنيستية وهى المرحلة الثالثة بعد عيسى يعنى : عيسى ثم الحواريين ثم الهلنيسين ثم بولس . وعن هؤلاء الهلنيستين أخذ بولس تعاليمه المسيحية ، وهؤلاء الهلنيستين هم الطائفة اليهودية المرنة التى لم تتعصب للشريعة اليهودية واكتسبت هذه الصفة من حياتها فى المهجر فلما عادت لم تعجب المتعصبين اليهود فى فلسطين فطردوهم فأقاموا كنيسة مستقلة عن عقيدة اليهود فى أنطاكية .

وفى هذه الكنيسة أخذ بولس يتعلم ، وتؤكد أعمال الرسل أن هؤلاء الهلنيستين هم الذين أخذوا يبشرون بالسيد المسيح فى العالم الخارجى . ولا يشك شارل جنى بير أن تلك البيئة هى التى ساعدت على التطور السريع نحو تأليه المسيح .

ولقد كان من المحير للحواريين أنهم لم يجدوا كلمة واحدة تشير إلى إمكان قيام مسيح يعذب بأسلوب مهين شائن . . بل على العكس لقد

قرأوا عكس ذلك .

فقد جاء فى كتاب الاشتراع ٢١ — ٢٣ لعن الله كل إنسان يشنق بالغابة .

* وعلى هذا الأساس فموت عيسى عند الحواريين لا يمت بصلة لمعنى التضحية أو الفداء أو تكفير الخطايا — ولكن بولس فسره بذلك .

والحواريون لم يصفوا عيسى بأنه ابن الله ولكنهم سموه خادم الله .

وجاء بولس وسماه ابن الله .

* كان الذى يسجد له كل من فى السموات والأرض هو يهوه فجعله بولس عيسى ، كأنما إله يهوه قد تنازل لعيسى .

وأصل الكلمة التى تدل على السجود (خير يومى) يونانية يستخدمها العبيد فى اليونان لبيان ولائهم للأسياد فنقلها بولس للتعبير بين عبيد عيسى وعيسى على نحو ما جاء فيها الرسالة الأولى إلى أهل كورينثيا ٧ / ٢٢ يدل على اختراعه أنها كلمة غريبة عن الآلهة التقليديين فى اليونان أو فى الرومان وإن كانت تستخدم فى إله آسيا الصغرى والشام ومصر .

هل هو حوارى :

واستغل بولس طقوس الأسرار فى التدين الذى يؤمن بالأسرار وقال إن نجاة المؤمن خاضعة لتوحيده مع المسيح المنقذ وصور هذه الوحدة فى التعميد الذى يرمز إلى الموت والبعث وصوره فى القربان وهو مادية الوحدة على مائدة السيد المسيح .

وعلى أى حال فإن إبتداع بولس لنظام مسيحى مستقل عن تعاليم المسيح يكفى فيه نصه الحرفى « لقد علمتكم ما علمت أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب ما قدر له فى النصوص المقدسة »[1]

فمن أين تعلم ؟ إنه لم يلتق بالمسيح ، ولم يتعلم عن الحواريين إنه تعلم فى أنطاكية فى الكنيسة الهلينيسية التى أعلنت إنفصالها عن الأصل اليهودى الذى من أجله جاء يسوع .

وهذا هو عين ما يقوله شارل جنير ويجعله تفسيرا طبيعيا لالتحاق بولس بالمسيحية بل يجعله أفضل من أسلوب المفاجأة يقول :

إن إقتنعنا بترجيح الرأى الذى يقول . بأن بولس قد تلقى أسس عقيدته — وهى العقيدة التى تعارفنا على تسميتها بالبولونية — عن

---

(١) الرسالة الاولى إلى أهل كورنيثيا ١٥/٣

مجتمع أنطاكيا : إن اقتنعنا بترجيح هذا الرأى فإن تحول صاحبنا وهو اليهودى الغربى الأصيل إلى المسيحية هذا التحول سوف يبدو لنا حينئذ أقرب إلى المنطق مما لو فسرناه بتلك المزاعم الهزيلة التى دعا إليها يهود القدس المسيحيين والتى كرهها هو بادى ذى بدء وهاجمها ثم جعلناه يعتنقها فجأة ودون تمهيد (١)

دعوى أنه حوارى :

وتؤكد الوقائع أن بولس لم يلتق بعيسى بل تؤكد الوقائع أنه كان مجرما فى حق القساوسة حسب ماجاء فى أعمال الرسل : ولما جاء شاول (بولس) إلى أورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ ، فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل «٩ : ٢٦ / ٢٧

ولكن شاول بولس يدعى أنه قد نصب حواريا بإرادة يسوع وأن شاول بعد هذا التشريف ليس فى حاجة إلى إرشاد من أحد ورسالة إلى أهل تصرح بهذا « هل أنا أبشر الإنسان أم الله ؟ ام هل أريد أن يعجب لى الإنسان ؟ لو أنى ظللت إلى الآن موضوع إعجاب

---

(١) شارل المسيحية ص ٩٥ / ٩٦

الإنسان لما كنت خادما للمسيح أؤكد لكم إذن يا إخوتى أن الأنجيل الذى أبشر به ليس من الإنسان فإنى لم أتلقاه ولم أتعلمه من الإنسان بل ألهمه إياى عيسى المصلوب ١/١٠ .

وتلك من إضافات بولس إلى المسيحية التى يؤسسها بفكره وجهوده بعيدا عن تعاليم الحواريين وبعيداً بالطبع عن تعاليم عيسى.

ومن هنا نشأت الخلافات بينه وبين الحواريين إلى درجة أن أعمال الرسل تحتفظ بصورة من هذا الخلاف .

وأن العروض التى قدمها بولس لآرائه فى معابد القدس . معابد اليهود التى كان يرتادها الهيليلسيون أثارت ضجة كبرى إضطر بولس بسببها إلى الإسراع بمغادرة المدينة .

يقول النص :

فكان معهم يدخل ويخرج فى أورشليم ويجاهر باسم الرب يسوع وكان يخاطب ويباحث اليونانيين فحاولوا أن يقتلوه فلما علم الأخوة أخذوه إلى قيصرية وأرسلوه إلى طرطوس ٩ : ٢٨ / ٣٠ .

بل إن أهل طرطوس لم يتقبلوا إنجيل بولس الذى بشر به يقول مسيو شارل جنى بير : كان يرتحل من بلدة إلى أخرى ولا يقيم بضعة أيام فى أى منها إلا حينما يجد جاليات يهودية هامة : وكان يبدأ بالحديث فى المعابد فيثير فيها عادة لدى اليهود المخلصين غضبا عنيفا على ما يسميه بإنجيله : وعندما يستطيع أن يهدىء من روعهم ويطمئن إليهم لفترة ما نراه يحاول إقناع من يأتى إليه . فإذا نجح فى دعوته إلى درجة ترضيه أقام بالمكان بضعة أشهر كما فعل بالنسبة إلى كورنيثيا وأفسوس .

تطبيق جديد :

ولقد دعاه هذا إلى أن يترك مجتمع اليهود ويدعو المشتركين غير اليهود وبقى أمامه مشكلة هى : هل يقبل المبشرون هؤلاء الجدد من غير طائفة اليهود دخول مملكة الله وأن يكون لهم فيها نصيب وهل يصبح هؤلاء الأجانب الذين يجهلون شريعة موسى أصحاب حق فى ميراث أمة (يهوه) .

لقد رفض الحواريون وهم الذين بقوا على يهوديتهم وهم الذين أشربوا تعاليم عيسى مباشرة منه ... لقد رفضوا هذه الأفكار البوليسية لكن بولس فرضها عليهم فرضا . ودفعه هذا إلى تيسير وتطبيق مبادىء الدين الجديد .

لاختتان : وكان الختان وهو شريعة عيسى وموسى لأنه شريعة اليهود فى رأى بولس لا يتمشى مع مشاعر اليونانيين . وأن جانبا كبيراً من تعاليم الشرع اليهودى لا يتفق مع متطلبات الحياة اليونانية وعادتها وتقاليدها — فشرع بولس لأهل اليونان مسيحية جديدة لاختتان فيها وأعفاهم من كثير من الأحكام التى جاء بها موسى .

فصل المسيحية :

● وإذا وصل الأمر إلى هذا الحد فقد انفصلت المسيحيه التى ينادى بها بولس عن المسيحية التى بشر بها الحواريون وانفصلت عن الدين الأم الذى جاء به موسى .

الخلاص :

وصار الأمر طبيعيا لأفكار بولس فرأى أن دعوة حلول مملكة الله وفكرة البعث أشياء لا تهم الفكر الأغريقى كثيرا بل إنها أمور خاصة بالأمل القوى لليهود فقط — وعليه فلابد من تغيير هذه المفاهيم ونقلها من دائرة خاصة بالشعب المختار إلى دائرة الأجناس كلها فصنع بولس تصورا جديدا هو : أن الله بعث يسوع ليحمل إلى الناس جميعا الخلاص .

ابن الله مجازا :

لم يكن الصلب فى الفكر الأغريقى إلا فضيحة فليس هناك مبرر عند اليونان لتقبل الصلب إلا أنه فضيحة - وأعمل بولس -الحوارى- ذكاءه لحل هذه المشكلة .

فتجاهل فكرة عيسى الناصرى تلك التى أعجب بها الحواريون الأثنا عشر واتجه نحو عيسى المصلوب فصوره على أنه شخصية إلهية تسبق العالم فى الوجود — وتمثل نوعا من التشخيص لروح الله فتصوره رجلا سماويا احتفظ به الله إلى جانبه أمدا طويلا حتى نزل إلى الأرض لينشىء فيها حقا بشرية جديدة يكون هو (آدمها) .

ثم أدعى بولس أن العلاقة بين هذا الرجل وبين الله هى علاقة البنوة وأن الله أرسله لتنفيذ خطة الله الكبرى المتعلقة ببعث الإنسانية وخلاصها - وأذن فصلب يسوع كان تكفيرا عن آثام البشرية لأن بنى الإنسان لم يستطيعوا حمل ثقل خطاياهم فحمل يسوع عنهم آثامهم بعذابه وموته وبالتالى يجب على البشر أن يتوحدوا فيه حتى يشاركوا فى فضله ويجدوا الرحمة يوم القيامة .

وهكذا صير بولس الفضيحة الكبرى للصلب سرا أعظم . ولهذا فإنك لا تجد كلمة ابن الله ترد إلا مرة واحدة فى أعمال الرسل

فى الأصحاح التاسع الفقرة العشرون : وجاءت على لسان بولس نفسه يقول النص :

والوقت جعل يكرز فى المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله .

والفقرة التالية بعد هذا النص تصور عدم تصديق الناس لبولس وتؤكد أنه الذى كان يعمل جاسوسا لحساب أعداء يسوع والحواريون

يقول النص

فبهت جميع الذين يسمعون وقالوا : أليس هذا هو الذى أهلك فى أورشليم الذين يدعون بهذا الاسم .

وقد جاء إلى هنا ليسوقهم موثوقين إلى رؤساء الكهنة

٩ : ٢١/٢٢ أعمال الرسل

وبالطبع فإن بولس لم يجد عناء فى فلسفته هذه لأنه عثر على هذه التركيبات فى الفلسفة الهلينستية وأسرار الوثنية الأغريقية[١]

فهل كان بولس يدرى ماذا ستفعله فلسفته بادعاء أن عيسى ابن الله؟

هل كان يدرى ماذا ستجره هذه اللفظة من مشكلات فى الدين الذى صنعه ؟ ؟

---

(١) راجع شارل جنى بير ص ١٠٤/١٠٥

وهل أراد بولس بهذا التعبير أن يقول إن الله ثالوث .

يقول شارل جنى بير :

لكن بولس لم يكن ليدرك فى ذلك الوقت كل ماترتب على مفهوم ابن الله بعد ذلك من مشاكل فى فلسفة الدين لاتحصى

وهذا أمر يجب أن لا نتناساه أيضا ، ويترتب عليه احتمال أنه لايستخدم التعبير إلا بمعنى تقريبى -- مجازى — يحاول به أن يفصح قدر المستطاع عن علاقة فوق البشرية — لكنه لايجد لها الاصطلاح الجامع المانع الذى لايرضيه .

أما مايجب تجنبه فى هذا المجال فهو القول بأن هناك خلطا بين السيد — وبين [الله] فمثل ذلك الخلط لا يمكن تصوره لدى بولس الذى لم يكن يخطر على باله فكرة الثالوث

ودليل ذلك من نصوصه : المسيح الله(١) .

هو طوع أمر الله حتى الموت(٢)

خاضع له تمام الخضوع(٣) .

---

(١) الرسالة الأولى لأهل كورنثيا ٣/٢٣

(٢) فيلبى ٢/٨

(٣) كورينثيا أولى ١٥/٢٨

والرسالة الأولى لأهل كورنيثيا فيها تفصيل يفند الثالوث : يقول :

«بالنسبة إلينا نحن على الأقل ليس هناك سوى إله واحد هو الأب منه كل شيء ونحن فيه . وليس هناك سوى سيد واحد هو عيسى المصلوب به كل شيء ونحن به» .

يقول شارل جنى بير :

وهكذا فمهما بلغ أمر «السيد» من خطورة ووجوب النسبة إلى عمل الله فإنه لا يتساوى معه قط ولكنه يمثل روحه .

والرسالة الثانية لأهل كورينثيا تخبرنا بأن السيد هو الروح ، ولا يستطيع بولس أن يأتى بما يقرب أكثر من هذا بين اللفظين البالغين فى السمو أقصى درجاته وهما : السيد ، الله .

وتلك هى بالذات العلاقة الوثيقة التى عبر عنها بلغة البشر فقال : إن السيد : هو ابن الله دون أن يفترض هذا التعبير إيمانا منه بنظرية البنوة فى معناها الحرفى .

الطقوس :

● كان الإثنا عشر وهم اليهود الأتقياء يواظبون على إرتياد المعبد اليهودى ولا يخطر ببالهم أنه فى حاجة إلى طقوس سوى أنهم كانوا يعلقون أهمية خاصة على « التطهر بالتعميد » .

ثم صار هذا التعميد علامة على اعتناق المسيحية لدى الكنائس المقامة فى ديار الوثنية .

وكان الإثنا عشر عندما يلتقون فى دار أحدهم يطعمون جماعة . . ولعل عيسى كان يفعل هذا معهم . فجعله الحواريون رمزاً لوحدتهم .

يعنى : وحدة بين الحواريين وبين عيسى عندما كان موجوداً بينهم ولم يكونوا ليربطوا بين كسرة الخبز وموت المسيح وحتى هذا الحد لم يكن الأكل علامة من علامات الشعائر المقدسة لدى الحواريين إنه فقط مجرد رمز للوحدة .

ولكن بولس صانع المسيحية البولونية شعر بضرورة وضع مغزى لتقليد تناول الخبز جماعة فربطه برباط لا ينفصل إلى عذاب يسوع الذى تحمله لتخليص البشرية من ذنوبها ، وغمره بذلك الخيال الخصب : التضحية من أجل التفكير ومن أجل التقرب ومن أجل المشاركة فى الذات الإلهية :

فجعل تناول الطعام الذى لا يشكل شعيرة مقدسة رمزاً سحرياً ، وجعله سراً رفيعاً وتذكرة ورمزاً حياً كأنما أرادهما عيسى نفسه فيما زعم مؤسس المسيحية الثالثة « بولس » لقد قال فى رسالته الأولى إلى أهل كورنيثيا : فى الليلة التى سلم فيها أخذ السيد عيسى خبزاً وبعد أن شكر الله كسر هذا الخبز وقال : هذا جسدى وهو لكم فلتفعلوا ذلك دائماً تذكرة لى ، ١١/٢٣ .

وكذلك الكأس أيضاً بعد ماتعشوا قائلا : هذه الكأس هى العهد الجديد بدمى ، إصنعوا هذا كلما شربته للذكرى ١١/٢٤

ذلك أنكم كلما أكلتم من هذا الخبز وشربتم من الكأس ، كأنما تعلنون موت السيد حتى يأتى إليكم ١١/٢٦

ففاق بولس بهذه الأسرار ، الأسرار الوثنية ، إنها أسرار نابعة من الطقوس الهلينسية الوثنية ولاعلاقة لها بالطقوس اليهودية . .
وعن التعميد يقول بولس :

أما أنتم الذين عمدتم فى المسيح فقد ارتديتم المسيح

رسالة أهل جلطة ٣/٢٧

وهو يعنى بهذا النص : أنهم اتحدوا مع المسيح بواسطة التعميد ، ومن قبل كان التعميد للتطهر فقط .

وهو سر مأخوذ من الوثنية التى تعبد الإله [اتيس] ... فمن غطس ثلاث مرات يساوى خروج المسيح من القبر بعد ثلاثة أيام .

إذن بولس هو صانع هذه المستحدثات :

- ابن الله (مجازا)
- إلغاء الختان
- فصل المسيحية كدين مستقل وإلغاء شريعة موسى .
- قبول غير اليهود فى الدين وتخفيف تطبيق التعاليم بالنسبة لهم .
- التعميد
- العشاء الربانى
- الخلاص والتضحية ومحو الخطايا .
- إدعاء أنه حوارى بالإلهام .

وتلك هى المسيحية البولونية التى قامت على الفكرة الغنوصية والأفكار الهيلينسية على نحو ما قاله مسيو جنى بير

« وعلينا أن نؤكد وأن نكرر التأكيد بأن بولس لم يكن هو المخترع الفرد لكل هذا ولا الكنائس الهلينسية السابقة عليه

ولا الجماعات اليهودية النازعة إلى الغنوصية(١) هم الذين مهدوا لعمل بولس وأنشأوا الموضوعات الأساسية التى دار حولها تفكيره.

ولهذا فمن المبالغ فيه القول بأنه المؤسس الحقيقى للمسيحية.

أما المؤسسون الحقيقون للمسيحية فهم هؤلاء الرجال الذين أقاموا الكنيسة أنطاكيا(٢).

وهو قول مرفوض من شارل جنى بير لأنه فى طول عرض المسيحية البولونية كان يستدل بنصوص من رسائل بولس فلم يوجد فى الجو التبشيرى سواه بل إنه ليسند إليه وحده قهر الحواريين على اتباع كل آرائه التى لم يأت بها يسوع.

---

(١) الغنوصية : أساطير بدائية غلفت بفكر ميتافيزيقى : تقول : إن المادة والروح فى تعارض تام ، وترى أن الجسد مقبرة الروح وافترضت أن الكون المادى شر ، وأن خلق الأرواح الشريرة أو السفلية تأجج بالعواطف الشريرة ، وهى دائما فى ثورة ضد الذات الأعلى الذى تقر له بالوحدانية.

وعلى ذلك فالولادة شر لأنها تعنى دخول كائن روحانى إلى مستوى مادى منحط.

كذلك «الزواج شر لأنه يقود إلى التناسل وإلى عبودية خلال دورة الوجود ، ولذا يجب «المحافظة على نقاء الروح» بتجنب الجسد الزواج وعدم تعريض الجسم لدنس الحياه.

وقد تأثرت المسيحية بهذا فى كثير من نصوصها «وبخاصة فى رسالة تيموثاوس ، ورومية ، إذ يوصف عيسى «بأنه لم يكن ذا جسد مادى ، راجع شارل جنى بير ص ١٥٨ ، المسيح فى مصادر المسيحية ص ٢٦.

(٢) المسيحية شارل جنى بير ص ١١٠/١١١

وإن شارل جنى بير نفسه ليجهل تماماً رجال كنيسة أنطاكيا فيقول :

وإننا لانكاد نلمح أسماءهم وقد طواها النسيان إلا أن بولس كان يمتاز عنهم بنشاط أوسع بعداً وأوفر دقة فضلا عن تفوقه فى إدراك معنى هذا النشاط ومداه(١) .

وإذن فمن سوى هذه الشخصية يبنى المسيحية الثالثة يامسيو جنى بير؟ إنه يرجع ويقول :

بدون بولس كان من المحتمل أن لا توجد المسيحية(٢) وإلى هذا الحد فلم يكن فى التصور المسيحى الذى أسسه بولس مشكلة الأب والإبن وروح القدس ولا الثالوث ولا الأقانيم ، وإنما هى مرحلة ثالية فى تطور الكنيسة المسيحية .

كما لم يكن فى هذه المرحلة مذاهب ولا عقائد ولا فرق ، وإنما وجدت فى تطور الكنيسة الرابعة التى سنعالجها عنها فيما سيأتى إن شاء الله .

(١) المسيحية شارل جنى بير ص ١١١ .

(٢) المرجع السابق .

قبيل المسيحية الرابعة

- مشاكسات الكنيسة
- واستمرار الاضطهاد
- وكيف خرجت المسيحية منه

قبيل المسيحية الرابعة

- مشاكسات الكنيسة .
- واستمرار الإضطهاد

(ا) المشاكسات :

لم يأت المسيح ليبدل شريعة موسى هكذا نطق وهكذا دونوا عنه مقالته : « لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ، ماجئت لأنقض بل لأكمل » (١٧ / ١ متى)

بل إنه ليحذر من أولئكم الذين سيأتون من بعده ويتحدثون باسمه ليضللوا .

- احترسوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة . (٧/١٥ متى)
- ويل للعالم من العثرات فلابد وأن تأتى العثرات ، ولكن ويل لذلك الذى به تأتى به العثرة . (١٨/٧ متى)
- فإن كثيراً سيأتون باسمي قائلين أنا هو المسيح ويضلون كثيرين . (٢٤/٥ متى)

ولكن بولس كان سباقا إلى تغيير كل ما جاء به المسيح ، ووضع طقوساً وأكد قيام كنيسة أنطاكية المنفصلة عن اليهودية .

ولم يقبل اليهود المسيحيون برضاء تام كل هذه التبديلات والإضافات التى فرضتها بولس على الأثنى عشر حواريا .. لكن تم الإنفصال الفعلى بين الكنيسة وبين المعبد وأصبح هناك مسيحيتان ويهودية خالصة :

- مسيحية يهودية لأولئك الأتقياء من اليهود الذين آمنوا بعيسى .
- ومسيحيون أنطاكيون وأتباع وثنيون راحوا يتحدثون عن اليهود ودينهم بعبارات لا شك أنها غريبة كل الغرابة عن تعاليم يسوع ثم تطوروا فرفضوا الاعتراف لليهود بحقهم فى فهم شريعة موسى .

وطبعت الكنائس الوثنية الأصل على البقية المتبقية من الكنائس اليهودية التى أسسها الحواريون وأتباعهم اليهود والتى لم تضم فى غالبيتها سوى أناس يؤمنون بعبادات اليهود .

- واليهودية التى لم تؤمن بعيسى منذ حياته .

ولم يهدأ الحوار المتصارع العنيف بين طوائف اليهود المتمسحين الذين آمنوا بعيسى كمبشر بمملكة الله أو بعودته حسب تعاليم الأستاذ .

والحواريين ، وبين المسيحية البولونية التى أسسها بولس .

وكانت البيئة الرومانية وثنية يشيع فيها السحر كضرب من الكهانة ويستعمل فى عامة الشعب عادات وتقاليد نتيجة هذا الاعتقاد البدائى.

أما المثقفون فقد كانوا مولعين بالأدب والبلاغة لترتيب الأفكار وتزين الكلمات كما كانوا مولعين بالفلسفة لكشف مساتير الأسرار وتفسير لغز الحياة ، وانجذبت التأويلات الدينية سواء عند اليهود أو عند المسيحين المنفصلين إلى هذه التيارات ، ومن هنا كان العراك بين اليهود المسيحين وبين المسيحين المنفصلين . . وهذا ما تصوره المصادر المسيحية فى اضطرابها وصراعاتها . . وإلى هذا الاتجاه يميل مسيو موريس بوكاى يقول :

أما فيما يتعلق بعشرات السنوات التى تلت رسالة المسيح فيجب على القارىء معرفة :

إن الأحداث لم تقع مطلقا كما قيلت ، وأن وصول بطرس إلى روما لم يؤسس مطلقا الكنيسة ، بل على العكس فبين اللحظة التى غادر فيها المسيح هذه الأرض وفى منتصف القرن الثانى أى طيلة أكثر من قرن كانت هناك معركة بين اتجاهين : أى بين ما يمكن تسميته بالمسيحية البوليسية وبين اليهودية / المسيحية ، ولم يحل

الاتجاه الأول محل الثانى . . ولم تنتصر البولسية على اليهودية المسيحية إلا بشكل شديد التدرج[١] .

ذلك لأن اليهود المسيحيين ظلوا مخلصين لتعاليم أستاذهم واعتبروا بولس خائنا ، وتتهمه الوثائق بأنه يتواطأ تكتيكيا لتخريب الديانة .

ولقد ظل اليهود المسيحيون أصحاب نفوذ حتى عام ٧٠ م قبيل سقوط القدس على يد تيطس عندما زحف على فلسطين بجيش عرمرم ليحارب اليهود فحرق الهيكل ودمر أورشليم عام ٧٠ م[٢] .

وبعدها صار الأمر لكنيسة المسيحية المستقلة ، بل إن المسيحيين المنفصلين قد تبرؤا تماما من الصلة بالديانة اليهودية .

فى هذه الفترة من المحن كتبت الأناجيل والرسائل كل ينصر مذهبه وفكرته التى هى ليست من تعاليم الأستاذ من قريب أو بعيد .

يقول الكاردينال وانيلو :

. . نستطيع فى هذا المقام أن نقيم إفتراضات كثيرة ، ولكن فيما يخص الأناجيل فليست هناك مجازفة كبيرة فى أنه لولا جو الصراع

---

(١) دراسة الكتب المقدسة بوكاى ص ٧١/٧ .

(٢) خلاصة تاريخ كنيسة أورشليم ص ٦

بين الطوائف التى ولدت بسبب انشقاق بولس لما حصلنا على الكتابات التى فى حوزتنا اليوم ، إن هذه الكتابات الخصامية كما يبينها الأب كامينجر : فقد ظهرت فى فترة صراع جاد بين الطائفتين، وانبعثت من حشد كتابات عن المسيح .

والمطالع لفقرات الأناجيل المعتمدة يجد أشكالى هذا الصراع بادية فى سبب تدوينها . فأول فقرة فى الإصحاح الأول لانجيل لوقا توضيح سبب كتابته هذا الإنجيل . .

إنه يقول :

إذا كان كثيرون قد أخذوا تأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معانيين وخداماً للكلمة . . رأيت أيضا إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالى إليك أيها العزيز ثاوفليس لتعرف صحة الكلام الذى علمنا به .
لوقا ١ — ١

والنص يصور عدة أمور :

الأول : إن كثيرين قبله قد ألفوا قصصاً فى الأمور .

الثانى : أنه لم يعاين بل يكتب نقلا عمن عاينوا وكانوا خداماً .

الثالث : أنه تتبع كل شيء من الأول . لكن كتابه جاء مختلفا عن كل ما سبقه .

الرابع : أنه كتب لواحد معين يسمى : ثاوفيلس .

وبولس فى رسالته إلى أهل غلاطية يجسم هذا الخلاف الحادبقوله:

« إن بشرنا كم نحن أو ملاك أهل السماء بغير ما بشرنا كم فليكن أنا يتيما أى محروماً من الجنة كما سبقنا فقلنا أقول الآن أيضا: إن أحد يبشركم بغير ما قبلتم فليكن أنا يتيما » غلاطية ١/٨ أول

ويقول أيضاً :

ولكن بسبب الإخوة الكذبة المدخليه خفية الذين دخلوا اختلاساً ليتجسسوا حريتنا التى لنا فى المسيح كما يستعبدونا » .

٤ — ثانى غلاطية

وكان مرقس يشكر ألوهية المسيح هو وأستاذه بطرس الحوارى فهاجمهم بولس فى رسالته إلى غلاطية فى أول فقرات الإصحاح الأول:

إنى أتعجب أنكم تنقلون هكذا سريعا عن الذى دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر ليس هو آخر ، غير أنه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون أن يحولوا إنجيل المسيح » .

٦/٧ غلاطية أول

وفى الآصحاح ١٥ من أعمال الرسل مشاجرة بين بولس وبرنابا فقد جاء فيها :

« ثم بعد أيام قال بولس لبرنابا لنرجع ونفتقد إخواننا فى كل مدينة نادينا فيها بكلمة الرب كيف هم ، فأشار برنابا أن يأخذا معهما أيضا يوحنا الذى يدعى مرقس ، وأما بولس فكان يستحسن أن الذى فارقهما — بمفيلية ولم يذهب معهما ليعمل لا يأخذانه معهما فحصل بينهما مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر ، وبرنابا أخذ مرقس وسافر فى البحر إلى قبرص » . ٣٦/٤٠—١٥ أعمال الرسل .

وبرنابا نفسه يصور المعركة الحامية بينه وبين شارل بولس فى مقدمة إنجيله يقول :

أيها الإغراء إن الله العظيم العجيب قد افتقدنا فى هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمته عظيمة للتعليم والآيات التى اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثير بدعوى التقوى ، مبشرين بتعليم شديد الكفر ، داعين المسيح ابن الله ، ورافضين الختان الذى أمر به دائما مجوزين كل لحم نجس ، الذين ضل فى عدادهم أيضا بولس الذى لا أتكلم عنه إلا مع الأسى ، وهو السبب الذى لأجله أسطر ذلك الحق الذى رأيته وسمعته أثناء معاشرتى ليسوع لكى تخلصوا ولا يضلكم الشيطان فتهلكوا فى دينونة الله ، وعليه فاحذروا كل أحد يبشركم بتعليم جديد مضاد لما أكتبه لتخلصوا خلاصا أبديا » .

٢/٩—١ برنابا .

بمقابلة هذه النصوص يدرك الباحث أن هناك معركة بين برنابا كممثل للإتجاه الحوارى اليهودى الذى أخذ عن عيسى مباشرة ، وبين بولس... كممثل للاتجاه الهيليسنى المنفصل وأن الاتجاه الأول كما يراه العالم الفرنسى شارل جنى بير هو طابع الجماعة الأولى التى اعتزت بتيمها ومبادئها .

وأن الاتجاه الثانى كان تيسيراً من بولس للوثنيين الرومانيين الذين دخلوا فى هـــذا الدين حتى أدى فى النهاية إلى فصله عن الدين الأم .

وسوف تظل هـذه المعركة حامية حتى تنتهى موجـة الرعب والإرهاب وتخلص المسيحية إلى نفسها بعد حين طويل من الدهر .

(ب) الاضطهاد مستمر :

ولد يسوع وسط جو ممتلىء بالمخاوف حسب النص الذى انفرد به متى دون بقية الأناجيل المعتمدة ، وإن كان برنابا قد كتب عنه فهو غير معتبر عند القوم ، وفى عام ٧٠ م هدم الرومان أورشليم وأحرقوا المعابد وأعدموا كثيراً من المسيحيين، وقد ظل هذا الإضطهاد مستمراً أثناء المشاكسات التى كانت تدور بين رؤس المسيحيتين : اليهوديه المسيحية ، المسيحية البولوستية ، بل إن جميعهم قد قتلوا أو

ماتوا حكما مقضيا كتجريم لفعالهم ، وتعود علة هذه الكراهية ترجع إلى سببين :

السبب الأول : سياسى

« الثانى : إجتماعى

* أما فيما يتعلق بالسبب السياسى : فإن الكنيسة قد جعلت من نفسها نداً مناهضا للنظام السياسى من حيث : إن المسيحيين الأول آمنوا بأن نهاية العالم وشيكة الوقوع وتطلعوا بآمالهم إلى يوم القيامة فقل إهتمامهم تجاه واجبات الحياة الدنيوية ، وبالطبع تطلعوا فى عشق عامر مملكة القدس السماوية ، فأثر ذلك فى مصالح الحياة السياسية فى نظر الدولة ، لأن المسيحيين أبغضوا العسكرية لأنها تنطوى فى زعمهم على فرض وثنى ، كما أنهم رفضوا كل تأييد تطلبه الحكومة بدعوى أنهم لا يؤيدون الدين الوثنى الذى تؤمن به الدولة .

ففسرت الدولة هذا السلوك بأنه تمرد مدنى كأنهم خططوا ضد نظام الدولة . وكانت الدولة الوثنية الرومانية قد فرضت على جميع الأديان غير الرسمية إعلان الولاء للدين الرسمى [الوثنية] وجعلت الولاء لدين الدولة علامة على الوطنية ، وكان ذلك يستلزم تقديم القرابين للآلهة .. وكان المسيحيون يعتبرون ذلك جرما فى حق الدين،

وكان ضميرهم يعارض بغيرة قاهرة ما تطلبه الدولة من إلتزامات وما يفرضه القانون من واجبات .

وبالطبع فإن الحاكم فى أى عصر يرى أن الخروج على هواه جريمة يعاقب عليها بالإعدام ، ومن هنا فقد استمرت الدولة الرومانية الوثنية فى إضطهادها للمسيحيين .

* وأما فيما يتعلق بالسبب الاجتماعى :

فإن المسيحيين لم يحترموا تقاليد المجتمع الرومانى وعاداته، فكانوا يصورون الزواج والتكاثر على أن ضعف يرثى له أمام الغرائز الجسدية، ولقد سبق أن نوهنا على تأثر المسيحية البولوسية بالأراء الغنوصية ، ولم يكن لأعضاء الجالية المسيحية داخل المجتمع الرومانى الوثنى من وجهة نظر سوى القيم الروحية ، فهاجموا اللذات الجسدية والفروق الاجتماعية داعين إلى المساواة بين الأسياد والعبيد فى الايمان .

وكان من الصعب على مجتمع وثنى عاش آلاف السنين على نظامه الطبقى والاجتماعى أن يتقبل آراء المسيحيين تلك ، فكون المجتمع نحوهم كراهية وبغضا سهل للسياسيين إستمرارهم فى الاضطهاد البالغ الحد فى ألوانه ضد المسيحيين .

بل إن حالة الكراهية من قبل الدولة والمجتمع تجاه المسيحيين وصلت إلى حد أنه لابد من القضاء على أحـــد الطرفين الكاره أو المكروه .

ـ فالمثقفون من الرومانيين كانوا يحتقرون المسيحيين سواء كانوا يهوداً أو مسيحيين. ورأوا أن عقيدتهم لا تستحق مشقة الدراسة .

ـ وعامة الناس كرهوهم لغرابة أسلوبهم فى الحياة ولبشاعة ما أشيع عنهم من أخبار ، فقد قيل ـ والله أعلم ـ أن أصحاب النيات السيئة ألقوا بالتهم على المسيحيين فاتهموهم بأنهم يضحوا بالأطفال وأنهم يتحللون فى إجتماعاتهم السرية .

وبالطبع وجدت الدولة بهذه الكراهية وسيلة للقضاء على المسيحيين إرضاء لغيرة الشعب واحتراما لعواطفه ، وتحملت لذلك أسبابا واهية فقد يساق الشخص المسيحى إلى المقصلة لمجرد أنه :

* رفض إقامة الشعائر باسم ألوهية الامبراطور .

* أو لم يحرق البخور أمام صورته .

واعتبروا أن مثل هـذه الاتهامات تآمراً على الدولة وحددوا

عقوبتها الاعدام . واستمر الاضطهاد إلى القرن الثالث الميلادى حيث شكل التيار المسيحى خطراً جسيما على الدولة الوثنية الرومانية فقرر ملوك الدولة المتتابعين :

ريس — فاليريان — جالير — ديوكليسيان :

القضاء المبرم على الاكليروس — وعلى الكنيسة ، وعلى كل أثر للدين الجديد ، فأمعنوا فى التعذيب بأبشع الأساليب وأقساها وأردئها ليحملوا المسيحيين على الارتداد إلى الوثنية ، ووضعوا أوهى التهم المدنية كجريمة عظمى يستحق صاحبها الموت :

ومن هذه التهم الواهية :

— الانتساب إلى دين غير مشروع .

— الانتماء إلى جماعة سرية .

— رفض إطاعة الأوامر .

— التهرب من واجبات الحياة العامة أو الخاصة .

— التهرب من ممارسة السحر .

— التآمر على الحاكم .

وكان يكفى لدرء هذه التهم أن يعلن المسيحى أنه خرج من مسيحيته وذلك يدل دلالة صريحة على أن الغرض من الإجراءات القانونية هو القضاء على المسيحية ذاتها ولا شيء غير هذا .

ولقد أطلق للقضاء العنان فى إصدار الأحكام حسب تقديره ومزاجه الشخصى يقول مسيو جنى بير :

وكانت الأساليب القضائية لدى الرومان تتصف بوجه عام بالقسوة ، وبلغت فى ذلك أبعد جد بالنسبة إلى قضايا المسيحية ، لأن القضاة كانت لهم اليد المطلقة فى تقدير العقاب على من تثبت عليه تهمة التآمر ضد الحاكم ، وقد استخدمت أكثر وسائل التعذيب وحشية لحث المسيحيين على الإرتداد .

وكان لمزاج القضاء الشخص بطبيعة الحال أثره فى تخصيص ألوان التعذيب أو على العكس فى الزيادة من عنفها (١) .

* * *

ح — كيف خرجت المسيحية من هذا الاضطهاد ؟

هل خرجت المسيحية من الاضطهاد المحيط بحياتها منذ لحظة ولادة يسوع إلى أوائل العقد الثانى من القرن الرابع الميلادى بتخطيط من رجالها ؟

---

(١) المسيحية ص ١٧٠

أو أنها أخرجت من هـــذا الاضطهاد لأسباب خارجة عن تخطيطها ؟

وعلى آية حال فهل يعتبر خروجها من هذا الاضطهاد إنتصاراً ؟

أما فيما يتعلق بخروج المسيحية من الاضطهاد المستمر فله عاملان:

العامل الأول : التنازل عن التعصب المسيحى .

إن مجهودات الحكام الذين أعلنوا الاضطهاد لم تكن منشقة ولم تأخذ صيغة الحزم الكافى لتحقيق الهدف ، بل كان أكثرهم متردداً.. بل بعض المتشددين أنفسهم تردد فى بعض الأحيان .

هذا من ناحية . .

ومن ناحية أخرى : فلم تكن هناك خطة شاملة لتنفيذ صورة الاضطهاد على مستوى الامبراطورية حتى فى أحلك عهد الاضطهاد زمن الامبراطور ديوكليسيان . .

بل إنه رغم كثرة الشهداء طوال عدة قرون لم تجد الكنيسة لها خطة تقاوم بها الحكومة و إنما كثرة الشهداء أوجدت جواً من الشفقة الاجتماعية نحو هذا الدين المضطهد .

وأدى ذلك إلى أن المسيحيين أنفسهم لم يعودوا متعصبين ضد العادات والتقاليد الاجتماعية للمجتمع الرومانى الوثنى فطول الزمن مع طول التعذيب والاضطهاد جعلهم ينخرطون فى السلك الاجتماعى عادات وتقاليد وطقوساً ومراسم ، فحصل لقاء إجتماعى ، أو وتشابك معيش متبادل بين الجاليات المسيحية والمواطنين الرومانيين وبالتالى فقد بدأ هؤلاء المواطنون ينظرون إلى مبادىء الصبر والخلق الذى تدعو إليه المسيحية نظرة تقدير أخلاقى .

ورأى الجانبان إمكان العيش جنباً إلى جنب . . فكان ذلك أول عامل فى خروج المسيحية من الاضطهاد السياسى والاجتماعى بصورة مبدئية . . وإنما كان ذلك على حساب بعض مبادىء المسيحية من جانب ولا على حساب أمن الدولة من الجانب الآخر . . لأن الدولة ما زالت لها قوتها وسلطانها .

العامل الثانى : الصراع العسكرى .

بعد موت جالبير عام ٣١١ م تقريباً انفتح مجال للتنافس على الحكم ، وطالب الحكم فى لحظات التنافس يحاول أن يسترضى كثيراً من الاطراف ، ويصالح كثيراً ... من أهل الخصومات .

وكان المتنافس على العرش بعد جالير رجلان كلاهما عنيد وعنيف .. هما :

— قسطنطين كاوروس .

— ماكسانس حاكم إيطاليا.

وكلاهما وثنى .. وكلاهما رومانى الأصل والنزعة ..

إستطاع ماكسانس أن يدعم جنده الوافر الكثير الشديد البأس بتأييد سائر الآلهة الوثنية . . فأقام لهم الصلوات ، وقدم لهم القرابين ، كما لم يدع أن يضم إلى جنوده السحرة فماذا بقى لقسطنطين ؟

فاتجه إلى رجال الاكليروس المسيحيين يساومهم أو يتفق معهم ، ومن قبل قدمت المسيحية عدة تنازلات . .

فهى لم تعد مارقة على الحياة السياسية .

ولم تعد كذلك منعزلة عن الحياة الاجتماعية .

فلقد شارك رجالها فى الأعمال المدنية وشربوا من عادات وتقاليد المجتمع الرومانى الوثنى ، بل إنها لم تر بأساً فى أن تمتص من لباب العقائد الوثنية ما دام ذلك فى صلاح أمرها (١) .

---

(١) شارل جني بير ص ١٧٢ .

فتشجع قسطنطين على عقد إتفاق أو مساومة مع رجال الكنيسة أن يعترف بدينهم كدين محترم إلى جوار دين الدولة الرسمى [الوثنية].

ولما كان الدين فى ذلك العصر الغاشم كما يسميه فشر الانجليزى يقاس الحق والباطل فيه بمقدار ما يأتى على يديه من نتائج . فإن قسطنطين وإن لم يكن بعد مسيحيا إلا أنه بعد إنتصاره فى موقعه جسر ملقيان عام ٣١٢ م بات يؤمن بالمسيح وبآلة الشمس القهار ، فحبا المسيحيين بكثير من التسامح ، وإن كان قد إحتفظ لنفسه بالكاهن الأعظم Pontifex maximus وهو المنصب الامبراطورى فى الديانة الوثنية الرومانية ، وضرب النقود فى عهده تحمل الصليب على وجه منها وتحمل على الوجه الآخر شعار عبادة الشمس .

كذلك عقد قسطنطين النية على تأييد طائفة المسيحيين باعتبار أنها سبب فى نظرة كما عن إلى الاشراف على نواحى نشاطها ، ورأى أنه لا بأس من التدخل فى شئونها و لذلك أصدر قانون مانو ٣١٣م[1]

ذلك المرسوم الذى يعتبره مسيو شارل جنى بير سبباً فى إفساح مكان لإلة المسيحيين بين آلهة الدولة المعترف بهم ، والذى يجعل جميع الأديان متساوية فى الدولة[2] وهكذا أخرجت المسيحية من عهد

---

(١) تاريخ أوربا القرون الوسطى جـ١ ص٦ فشر

(٢) المسيحية شارل جنى بير ص ١٧٣ .

الاضطهاد الذى يسمونه عصر الشهداء إلى دين رسمى معترف به فى الدولة الرومانية الوثنية عصر قسطنطين . .

فهل يعتبر هذا الخروج إنتصاراً ؟

وهل هو انتصار مقدر علميا كاتبى تاريخ مقارنة الأديان ؟

فيما يتعلق بالإجابة على هذا السؤال : هل يعتبر خروج المسيحية من الاضطهاد إنتصاراً ؟

يجيبنا مسيو جنيبير بقوله :

«كان هذا الانتصار الذى يشهد به على الأخص تحول الدولة الرومانية إلى الدين الجديد فى القرن الرابع مرحلة هامة من مراحل تطور المسيحية . .

والواقع أن المسيحيين كانوا قد دفعوا ثمن الانتصار ، دفعوه غالياً بحيث نستطيع القول فى شىء كبير من الجزم بأن مؤمنى عصر الحواريين لم يكونوا لينظروا إلى هـذا الانتصار - لو قدر لهم ذلك - إلا على أنه نكبة كبرى .. وعذر مسيحيو عهد قسطنطين : أنه لم يكن بيدهم إختيار الظروف والشروط . .

والنظرة الأولى إلى أحوال المسيحية تكفى لأن تبين لنا أن الانتصار على أعداء الدولة ودفعها إلى إتجاه جديد : لم يكونا من نصيب أتباع المسيح حقيقة .

وإنما كان من نصيب حكامهم — أى الكنيسة — وأن تلك الامتيازات التى تمتع بها المؤمنون عامة على الحل الوسط الذى اتخذه قسطنطين لم تأتهم سوى نتيجة إتفاق بين قوتين . بل بين حكومتين تبحث كل منهما أولا وقبل كل شيء عن مصلحتها الخاصة (١)

والمصلحة التى كان يسعى إليها رجال الكنيسة هى التى يصورها شارل جنى بير بقوله :

وانتهى الاكايروس وقد اطمأن للمستقبل من إنشاء تنظيماته خلال القرن الرابع وكان لاقامة الأساقفة المركزبين — والبطارقة : أثر ملموس فى تنسيق التدرج الوظيفى بالكنيسة التى اتجهت بذلك شيئاً فشيئاً نحو الملكية البابوية (٢) .

وهذا هو الذى يسمى علميا الكنيسة الرابعة .

(١) المسيحية ص ١٨٢

(٢) » »

٦

المسيحية الرابعة

مسيحية قسطنطين

[المجامع والمذاهب والفرق]

- من الصراع العقدى إلى قيام البابوية .
- الثورة الإصلاحية والدين الإضافى الجديد .
- المسيحية أمام النقد والكشف العلمى .

[إن السبب الرئيسى ، بل السبب الوحيد الذى جعل الامبراطور قسطنطين يتخذ المسيحية دينا رسميا إنما هو ما رآه فيها من التعصب الذى لا يوجد فى غيرهـــا من الأديان التى كانت منتشرة آنذاك فى روما] بابيه

أولا : من الصراع العقدى

إلى

البابوية

عيسى لم ينشىء كنيسة :

يقرر الكاتبون المسيحيون أن أكثر الأمور المحققة مثبوتاً لدى أى باحث يدرس الأناجيل فى غير ما تحيز هو : أن المسيح لم ينشىء كنيسة ، بل ولم يردها ، بل إن افتراض العكس لن يجد له سنداً تاريخياً مقبولا ، فلم يستطع رجال اللاهوت بكل ما أوتوا من براعة أن يقيموا على ذلك أدنى دليل .

ذلك :

أن عيسى كان يترقب حلول مملكة الله الوشيك ، ومن شأن هذا الأمل أن ينفى من منطقه كل فكرة تتعلق بالتنظيم الدنيوى لأتباعه ، ثم إن عيسى كان يهودياً خاضعاً تمام الخضوع لشريعة بنى إسرائيل الدينية الحقة — لهذا كله لا بد لنا من الإيقان بأنه لم يكن ليعمل فكره لحظة واحدة فى رسم خطوط ما نسميه : بـ « الكنيسة » .

أما ما يدعى من أن المسيح أعطى للحواريين سلطة فهذا محل جدل إلى اليوم ، وعلى افتراض احتماله — لا ثبوته — فإنه لا يتعدى أن يكون عيسى قد منحهم بعض ما أوتى هو من سلطان التبشير بالتوبة ، وبحلول مملكة الله ، لكنه ألبتة لم يصنع لهم قساوسة حيث لم يكن هو فى حاجة إلى هذا ألبتة .

والحواريون لم ينشئوا كنيسة :

وإذا درسنا ما قام به هؤلاء الحواريون من أعمال فإننا لا نجد أنهم فكروا فى إنشاء .. كنيسة ، فقد ظلوا على إخلاصهم للدين اليهودى وداوموا بكل دقة على شعائر عبادتهم لأنهم كانوا مؤمنين بأن المستقبل سيكون لمملكة الله وليس لكنيسة ما .

ودراسة نصوص الأناجيل تعطينا إدراكاً هو : أنها لم تنسب إلى المسيح تعبيراً يفيد بناء كنيسة ، اللهم إلا فى مناسبة واحدة وهو يتحدث إلى بطرس فى إنجيل متى [... وعلى هذه الصخرة سوف أبنى كنيستى ١٦/١٨ - ١٩] ، وهو نص يفيد أن عيسى قد تنكر لرسالته التى جاء بها لبنى إسرائيل لأن النص يفيد أن عيسى سيبنى كنيسة .. وقد انتهى ... ولم يبن هذه الكنيسة .

على أن أفضلية بطرس لم يكن لها أى حظ من الواقع حسب

مراقبة الأحداث وتسلسلها ؛ لأن عيسى إتهم بطرس أنه سيكذبه ثلاث مرات قبل صياح الديك :

يقول النص :

« فأجاب بطرس وقال له : وإن شك فيك الجميع فأنا لا أشك أبداً ، قال له يسوع : الحق أقول لك : إنك في هذه الليلة قبل أن يصيح ديك تنكرني ثلاث مرات ، قال له بطرس ولو اضطررت أن أموت معك لا أنكرك ... هكذا قال أيضا جميع التلاميذ » .
(٢٦ متى — ٣٣/٣٥)

وإذا راقبنا تسلسل الأحداث نجد أن بطرس ينكر عيسى ثلاث مرات :

الأولى : في النص رقم ٦٩/٧٠ [أما بطرس فكان جالسا خارجا في الدار فجاءت إليه جارية قائلة : وأنت كنت مع يسوع الجليلي ، فأنكر قدام الجميع قائلا : لست أدري ما تقولين] .

الثانية : في النص رقم ٧١/٧٢ [ثم إذا خرج إلى الدهليز رأته أخرى فقالت : للذين هناك : وهذا كان مع يسوع الناصري ، فأنكر أيضاً بقسم أني لست أعرف الرجل] .

الثالثة في النص رقم ٧٣/٧٤[وبعد قليل جاء القيام وقالوا لبطرس حقاً أنت أيضاً منهم فإن لغتك تظهرك؟ ، فابتدأ حينئذ يلعن، ويحلف : أني لا أعرف الرجل] .

وتؤكد فقرات انجيل متى في الاصحاح السادس والعشرين صدق نبوءة عيسى في كذب بطرس ثلاث مرات فقد ورد :

[وللوقت صاح الديك ، فتذكر بطرس كلام يسوع الذي قال له : إنك قبل أن يصيح الديك تنكرني ثلاث مرات ، نخرج إلى خارج وبكى بكاء مرا] . (٧٥ — ٢٦ متى)

ولهذا .. فإن فكرة إنشاء كنيسة بمعنى نظام تعبدي ، وتسلسل وظيفي كهنوتي اكيروسي يمكن القول بأنها نشأت في ربوع العالم اليوناني بعيدا عن أرض الرسالة التي كان بها يسوع ، بل إن اليهود في المهجر قد طردوا أتباع عيسى من معابدهم سواء كان هذا التابع يهودياً في أصله أو غير يهودي ... فتكون من هؤلاء الأتباع المطرودين من معابد اليهودية لاتباعهم عيسى مع الوثنيين اليونان الذين طردوا هم كذلك من معابد الوثنية لاتباعهم عيسى ... كونوا جميعاً تجمعاً حول عبادة واحدة تمجد السيد المسيح : عيسى ... ولا شك أنها كانت عبادة بدائية كما يذهب إلى هذا الفهم مسيو شارل جني بير ، غير أنها انطوت على فكرة الاجتماع الأخوى وفي هذه الحالة سمى الأتباع أنفسهم بالقديسين .

وحتى هذا الحد فالعبادة أو الكنيسة التى يجتمع فيها القديسون أو الأتباع لم تزل جزءا من كنيسة الله التى لمـــا تعد عالمية ، ولقد كمن هذا المعنى فى ذهن بولس — شاول — قبل أن يظهر كتنظيم كنسى ، وكان يعيش الأتباع داخل إطار بيئة قاسية من جراء الاضطهاد الذى يلاحق الأتباع فى كل صقع من أصقاع الدنيا ؛ إذ كانت العبادات تؤدى سرا وخفية ... وظلت الكنيسة بهذا المفهوم الذى لم يتعد طور الأخوة بين المؤمنـــين المحليين دون أن تظهر كنيسة الله فى كيان مادى ملموس .

ولاتزال نشأة الكنائس الخاصة غامضة كل الغموض لعدم وجود أدلة كافية لأنها نشأت فى أحضان الإرهاب السياسى ، والإضطهاد الحكومى والشعبى ، ويمكن القول افتراضا أن جماعات ... مات باسم التعاون بين صغار الناس ، وكان لكل جماعة مدير منتخب ، وصندوق تموله الاشتراكات ويشرف عليها مندوب خاص ... فلعل هذا النظام قد أخذت به الجماعات الدينية المسيحية المتناثرة ... فأنشأوا نظاما إداريا للكنيسة تطور فيما بعد إلى مايعرف بالقسيس ، والأسقف ، والشماس ...

وقد ظهر ذلك فى القرن الأول الميلادى ، ثم تطور فيما بعد إلى نظام متكامل معقد فرضته ظروف كثيرة : اختلاف القساوسة فى

العقيدة ، وتحمسهم للوطن ، وشراهتهم فى جمع المال ، وتنافسهم على السلطات .. الخ وكان من مظاهر ذلك الاختلاف ماسمى بالمجامع

المجامع والصراع العقدى :

تبرز دراسة المجامع المسيحية أهمية مجموعة من القضايا المتعلقة بتطور ونمو المسيحية الرابعة من حيث :

— كشف العوامل التى ساهمت فى تأسيس مايسمى بالمسيحية المعاصرة .

— انفصال الكنيسة جغرافيا إلى : شرقية ، وإلى : غربية

— انفصال الكنيسة عقـــديا إلى : كاثوليك ، وإلى أرثوذكس ... الخ

— كيف نشأت البابوية

— من ثمار البابويه : ثورة الإصلاح الدينى

— ومن ثمارها : فكرة فصل الدين عن الدولة

— ثم ظهور موجعات من النقد اللاذع الذى وجهه على

المسيحيه أنفسهم إلى مسيحيتهم ، مما جعل للدراسات العلمية الحديثة أهمية خاصة فى إظهار تهافت ديانة أوربا ...

الصراع الدينى حول عيسى :

عندما خرجت المسيحية من وراء الأسوار ومن تحت أنقاض ركام الاضطهاد الذى داومت عليه سلطات الدولة الرومانية وصارت دينا رسميا معترفا به مع الوثنية: الدين الرسمى للدوله، كان على المسيحية أن تنتشر ، وأن تعمل على إذهاق روح الوثنية التى اضطهدتها قرونا طويلة ، واتجهت النية بالفعل إلى هذا الهدف فبدأ التبرم بالعقيدة الوثنيه ، وصار الرجل القسيس ينظر إلى الوثنى نظرة مؤمن لكافر مشرك ، وراحت الكنيسة تلعب بصولجان السياسة لكنها فى الوقت نفسه ، إذ كان لكل كنيسة قانون خاص بها لاتزال صاحبة الأمر المطلق فيه ، ولها الحرية التامة فى تنظيم إيمانها ولوائحها فجر ذلك إلى اختلافات كثيرة معقدة فى العقيدة الأساسية .

لقد اختلفوا فى عيسى ذاته . . وتبلور النزاع فى رأى قسيسين كبيرين هما :

آريون المصرى

وإثناسيوس الإسكندرانى

* كان أريوس يرى : أن الإبن ليس مساويا للأب فى الأزل وليس من جوهره ، وقد كان الأب فى الأصل وحيدا فأخرج الإبن من العدم بإرادته ، والآب لايمكن أن يراه أحد ، أو يكفيه أحد ولاحتى الابن لأن الذى له بداية لايعرف الأزلى .

* وكان اثناسيوس يرى عكس ذلك تماما : يقول : أن الإبن مساو للأب وهو من جوهره ...

وكان هذا قد استشرى فى الإمبراطورية ، وظهرت كل كنيسة برأى :

— فكانت هناك كنيسه تدعى : أن المسيح وأمه إلهان ، وهى كنيسة البرابرانية

— وكنيسة أخرى تقول : أن المسيح من الآب بمنزلة الشعلة التى انفصلت

من النار فلم تنقص الأولى ، وهى كنيسة بطلوما ليس بالخمس مدن الغربية

— ومنهم من قال : لم تحبل به مريم تسعة أشهر ، وإنما مرّ في بطنها كما يمر الماء في الميزاب وهي مقالة إليان وأشياعة .

— ومنهم من كان يرى أن المسيح إنسان مخلوق من اللاهوت كواحد منا في جوهره، وأن ابتداء الابن من مريم ، وأن الله جوهر قديم واحد وأقنوم واحد ، ولا يؤمنون بالكلمة ، ولا بالروح القدس ، وهي مقالة بطريرك أنطاكية .

— ومنهم من قال : إنهم ثلاثة لم تزل : صالح ، وطالح ، وعدل بينهما ، وهي مقالة مرقيون ، وزعم أنه رئيس الحواريين وأنكروا بطرس ...

هذا الشغب الديني أو هذا الصراع الديني الذي لا يستند إلى مصدر علمي ولا سند ديني سليم أقلق الدولة الوثنية التي سمحت للمسيحية بممارسة شعائرها في العلانية إلى جوار الديانة الوثنية الرسمية للدولة ... فجمع لذلك الامبراطور قسطنطين بناء على إعلاء ميلانو عام ٣١٣ وبوصفه الكاهن الأعظم للديانات في الدولة ... جمع القساوسة المختلفين في شأن عيسى وعقـــد لهم أول مجمع مسكوني في مدينة نيقية عام ٣٢٥م ، وقامت مناظرة حادة بين كبيري

القساوسة : آريوس ، واثناسيوس ... وبعد أن احتدم النقاش انقسم المجتمعون وعددهم ٢٠٤٨ شخصا إلى جبهتين :

(أ) جبهة تناصر أريوس الموحد وهم الأغلبية الساحقة وعددها ١٧٣٠ قسا .

(ب) جبهة تناصر اثناسيوس اللاموحد وهم أقلية عددهم ٣١٨ قسا لكن قسطنطين — الوثنى — ينحاز إلى رأى الأقلية التى تذهب إلى أن عيسى إله مساو لأقنوم الأب ... ولا شك أن انحياز قسطنطين إلى رأى الأقلية يثير تساؤلا عقديا هاما، لأنه لم يكن فى هذا الوقت مسيحيا يقول المستر فشر المؤرخ الإنجليزى: الواقع أن الكنيسة المسيحية بانت حينئذ متمتعة بحماية السلطات المدنية مع أن الامبراطور لم يعتنق المسيحية رسميا ، ولم يسمح بتعميده إلا وهو على فراش الموت سنة ٣٣٨م[١] .

لقد جلس الامبراطور قسطنطين فى كرسى رياسة أول مجمع مسكونى وهو وثنى وناقش عقيدة المسيحيين المختلفين على أصلها بصفته الكاهن الأعظم للديانة الرسمية للدولة وهى الوثنية؛ ولهذا فإنه حسب تكوينه الدينى يجنح إلى مذهب الأقلية التى ترى أن المسيح ابنا مساويا

---

(١) يراجع تاريخ اوربا للقرون الوسطى ج١ ص ٦

للأب فى الجوهر لأنه المذهب الذى يتناسب مع الوثنية الدين الرسمى للدولة .

وهو كحاكم وثنى من الأفضل له وقد تعهد بحماية المسيحية أن تتوافق الديانتان : المسيحية المحظية ، والوثنية فى مفهوم العقيدة .

وغاية الخطورة فى تصرف قسطنطين راجعة إلى مستواه الاجتماعى فهو ينحدر من طريق غير شرعى قال فشر الإنجليزى :

وكان قسطنطين ابنا غير شرعى لضابط رومانى يرجع أصله إلى إقليم إيلريا من صاحبة حانة بمدينة نيش بالضرب الحالية[١] .

ويقول المؤرخ كيم Cam : إن قتل قسطنطين لزوجته وولده يدل على أنه لم يتأثر إطلاقا بتعاليم المسيحية وأخلاقها .

والذى يمكننا قوله فى مسيحية قسطنطية : أنه ظل وثنيا حتى إذا ما أراد فقل عاصمته من القسم الغربى إلى بيزنطة فى القسم الشرقى كان عليه أن يسترضى سكان هذا الجزء من الإمبراطورية وهم جميعا من أتباع أريوس الموحد .

---

(١) تاريخ أوربا : القرون الوسطى جـ١ ص ٤

وهو الأمر الذى يقرره فاسيلينه Vasl liev : أن قسطنطين كان على استعداد تام لتغيير ميوله المذهبية بل والدينية وفق ما تتطلبه مصالحه السياسية ؛ ذلك أنه ظل يناصر اثناسيوس طالما كانت عاصمته فى الغرب ، وطالما كان يعتمد على الغرب فى قوته ، ولكنه عندما شرع فى نقل عاصمته إلى الشرق وأحس بالحاجة إلى استرضاء سكان القسم الشرقى من الامبراطورية لم يجد غضاضة فى تغيير عقيدته أو ميوله نحو المذهب الأريوسى .

ولهذا انعقد مجمع صور بعد ذلك فى عام ٣٣٤م لإبطال قرارات مجمع نيقية والتى من أهمها العفو عن أريوس الذى لم يلبث أن توفى بعد ذلك عام ٣٣٦م قبل قسطنطين الذى حكم عليه قبلا بالطرد والحرمان عام ٣٢٥م .

ولكن تعاليم أريوس انتشرت بعد موته أكثر من انتشارها حال حياته حسب الإعتراف الذى أقر به الأستاذ زكى شنوده فى كتابه تاريخ الأقباط(١) .

---

(١) تاريخ الأقباط زكى شنودة جـ١ ص١٥٧ .

الإنفصال السياسى للكنيسة :

٣٨١ م

كان قسطنطين قد قسم الإمبراطورية بين أبنائه الثلاثة :

فأخذ قسطنطين الثانى الجزء الغربى

وأخذ قسطنطيوس الجزء الشرقى

وأخذ قسطانس الجزء الأوسط

وكل حاكم من هؤلاء الحكام أخذ يعمل على توطيد نفوذه عن طريق المذهب الدينى السائد فى مقاطعته :

* فاتجه قسطنطين الثانى إلى تأييد مذهب اثناسيوس اللاموحد

واتجه قسطنطيوس إلى تأييد مذهب أريوس الموحد

* وبدأ الصراع بين المذهبين ثم بين الدولتين عندما مات قسطنطين الثانى وأصبح الدفاع عن المذهب الأثناسيوس مهمة رجال الكنيسة والأكليروس الغربى وحدهم وبخاصة عنـــدما توحدت الإمبراطورية تحت لواء قسطنطيوس ٣٥٣-٣٦١ م ذلك الإمبراطور

الذى راح يفرض كل وسيلة مذهب أريوس على جميع أجزاء الامبراطورية غربا وشرقا .

وفى حلبة النزاع السياسى هذا الذى يتجاذب أحد المذهبين : الأريوس أو الأثناسيوس قامت هرطقات جديدة حول العقيدة بعضها ينكر لاصوت الروح القدس ، وبعضها ينكر الأقانيم الثلاثة ، ويدعى أنه ذات واحدة ، وأقنوم واحد ، ويأتى مجمع قسطنطينية الأول عام ٣٨١م ويقرر عدم شرعية المذهب الأريوس مرة أخرى ، ويثبت لاهوتية روح القدس كما وضع هذا المجمع سبعة قوانين جديده تتعلق بنظام الكنيسة وسياستها .

غير أن هذا المجمع لم يعترف به البندكيون نتيجة هوى شخصى فالأهواء عندما ينفتح بابها تشتد أعاصيرها وسبحان من يلطف من سعيرها ...

الصراع بين الكنيستين
الشرقية والغربية ٤٣١م

كانت الكنيسة فى الشرق قد أسلمت زمامها للحكام السياسيين منذ أن اعترف قسطنطين بالمسيحية فى اعلان مانو عام ٣١٣ م ونصب نفسه كاهنا أعظم للدين فى الدولة ، ومن يومها وقد صار

الامبراطور فى القسطنطينية يمثل نوعا من القيصرية البابوية تلك التى تعنى الجمع بين السلطة الدينية ، والسلطة السياسية .

أما فى الغرب فكان الوضع مختلفا تماما بسبب ضعف الامبراطوريات الغربية فلم تتمكن الأباطرة من فرض سلطانهم على الكنيسة ، ولذا وجد رجال الكنيسة فرصتهم جد سانحة فى جعل أسقف روما امبراطورا دينيا ، فعملوا بذلك على تحويل كرسى أسقف روما إلى بابوية ومن هنا قام صراع بين الكنيسة الشرقية ، والكنيسة الغربية حول : من له حق السيادة على العالم المسيحى ؟

● أما الكنيسة الشرقية فإنها تزعم فى نفسها أنها أحق بالسيادة على كل العالم المسيحى ؛ لأن القسطنطينية مركز الأباطرة الأول ، وبسط السلطان الدينى يتبع السلطان السياسى .

وأما الكنيسة الغربية : كنيسة روما فإنها تزعم أنها صاحبة الحق فى السيادة على العالم المسيحى كله ؛ لأنها خزانة التراث المسيحى منذ رحل إليها بطرس الرسول ، وبولس الرسول الذى تضم روما وفاته الشهير منذ عام ٦٨م .

وقد ظهر هذا الصراع فى مجمع أفسس الأول عام ٤٣١ م الذى انعقد

لينظر فى هرطقة « بيلاجيوس » البريطانى الذى يذهب إلى أن خطيئة آدم قاصرة عليه وحده ولم تتسرب منه إلى نسله ، وأنكر بناء على ذلك فكرة الفداء .

وأعلن أسقف القسطنطينية انفصال طبيعة اللاهوت عن السيد المسيح ورتب على ذلك أن اللاهوت لم يولد ، وبالطبع لم يصلب ، ولم يقم معه الناسوت ألبتة .

وعليه : فعيسى إنسان ممتلىء بالبركة لا غير ، وأن عبارة [ابن الله] ليست حقيقة بل هى مجاز يعنى الموهبة، وقد تبع تطوراً هذا أربعون أسقفا من أشياع كنيسته ، وكان معه بطريرك انطاكيا كذلك .

وانتهزها قساوسة الكنيسة الغربية فرصة لإظهار سيادتهم الدينية على العالم المسيحى - حسب زعمهم - فرفضوا رأى نسطورا ، ولعنوه وطردوه من رحمة الكنيسة ، وقرروا : أن المسيح له طبيعتان : إحداهما لاهوتية ، والثانية ناسوتية .

. . . وأخذ هذا الصراع يتصاعد حتى كان مجمع خليقدونية عام ٤٥١ م فتحقق انفصال مذهبي بين كنيسة الشرق ، وكنيسة الغرب ،

وتبعا لانقسامها سابقا فى مفهوم طبيعة المسيح ، فقـــد اختلفا فى مشيئته ، وكانت فرصة سانحة كذلك ليعلو صوت الكنيسة الغربية على الكنيسة الشرقية فقالوا . بالطبيعتين وبالمشيئتين ، وسمى هـذا المذهب بالمذهب الملكانى ، غير أن الكنيسة الشرقية كانت أسرع فى تحديد موقفها عندما أحست بأن القضية إنما هى قضية غلبة وسطو ، وليست قضية بحث وعقيدة وإيمان ، فأعلنت انفصالها عن الكنيسة الغربية ، يقول الأستاذ زكى شنودة المحامى المصرى المسيحى :

« لا تعترف الكنيسة القبطية بمجمع خليقدونية ولا بقراراته ، كما لا تعترف بالمجامع التى عقدت بالقسطنطينية بعد ذلك فى سنة ٥٥٣م ، ٦١٠م ، ٧٨٦م لمخالفة الذين اشتركوا فيها مع الكنيسه القبطية فى الاعتقاد بأن المسيح طبيعة واحدة ، ومشيئته واحدة »[1].

ولهذا يقول المؤرخ بورى Bury : « هذه المشكلة استمرت قائمة تمثل سببا للخلاف الدينى ، والتباعد بين الشرق والغرب »

ويقول دوش : Duche : « نلاحظ أن الخلاف حول تفسير بعض المسائل الدينية كان دائما من العوامل التى زادت من اتساع الفجوه بين الكنيستين : الشرقية ، والغربية .

ومن بين هذه المجادلات ولدت الكنيسة اليعقوبية ، وذلك أن جستنيان بعد فشله فى التوفيق بين آراء الكنيسة حاول أن يسلك مسلك جستين سلفه العنيد فيقضى على الأريوسيين انتصاراً للأثناسيوسيه لكنه لم يستطع لأن زوجتـــه (تيودورا) — وكانت صاحبة الرأى المسموع عند الإمبراطور — كانت ميالة إلى المذهب الأريوس القائل بالإله الواحد فانتهزت فرصة انتصاره فى إيطاليا ودخول جيوشه إلى أوربا وحاولت فرض مذهب الأريوسيين على البابا فجابوس vigllius ولكنه رفض فسيق إلى القسطنطينية حتى كان المجمع الثانى فى القسطنطينية عام ٥٥٣ م فتقرر فيه أن المسيح حق وليس رمزا ولا خيالا ، وأنه طبيعته واحدة .

ونحن إذا نظرنا تاريخيا إلى (تيورورا) زوجة الإمبراطور جستنيان نجدها كما قال فشر :

إنها جوهرة غالية تلك هى الإمبراطورية تيورورا التى كان أبوها قبرصيا يشتغل بترويض الدببة بملعب القسطنطينية وكانت قبل زواجها من جستنيان ممثلة عاهرة ، كذلك عركتها كثرة الشقاء حتى جمعت فى شخصها كل صفة من الصفات التى تلصق بمهنتها وتجاربها

مما تشمئز منه نفوس الناس[1]

وفى المقابل كرد فعل تنشأ الكنيسة المارونية التى ترى أن المسيح له طبيعتان وله مشيئتان على عكس المذهب التى تتعصب له الإمبراطورة تيودورا .

الفصل الإدارى بين الكنيستين .

وتستمر الخلافات المذهبية القائمة على العاطفة الخاصة والغرض الشخصى دون قدرة على العثور على نص يساندها ... ويستمر الصراع بين الأهواء والأغراض باسم الدين إلى عام ٧٨٧ م ذلك العام ... الذى تم فيه الفصل الإدارى بين كنيسة القسطنطينية وكنيسة روما، وكانت القشة التى قصمت ظهر البعير وحققت هذا الفصل الإدارى هى : أن عبادة الايقونات — الصور — انتشرت انتشارا واسعا بسبب التوسع فى النظام الديرى الذى عم بلاد اليونان ، إذ أن هذه الأديرة مارست أسلوبا أربى ماليتها ، وضاعف من ممتلكاتها ، ومن ضمن هذه الأساليب بيع الصور المقدسة وعبادتها ، وذلك دون مقابل يدفع للدولة كضرائب على هذه الدخول الكثيرة .

---

(١) تاريخ أوربا القرون الوسطى حـ١ ص٤٦ .

ورأى المثقفون أنه لا بد من موقف حاسم ضد رجال الأديرة ، فأصدر الإمبراطور ليو الثالث مرسومة عام ٧٢٦ م بتحريم عبادة الإيقونات ، ونفذ هو شخصيا هذا المرسوم على القصر الإمبراطورى فأزال الصليب الضخم الذى كان معلقا على بوابة القصر فى القسطنطينية ، ولما أثيرت الجماهير قمع ثورتها بالعنف العنيف ، فأصدر البابا جريجورى الثالث قرارا بحرمان الإمبراطور ليو الثالث عام ٧٣١ م وذلك ظنا من البابا أن الإمبراطور تأثر بالحركة التى عمت كنائس البلدان العربية ضد الإيقونات فى عهد يزيد بن عبد الملك عام ٧٢٣[1]

وعلى أية حال فقد كانت هناك مواجهة بين سلطتين : سلطة الدولة التى تتدخل فى الدين الكنسى ، وسلطة الكنيسة التى تصارع الدولة بالتدخل السافر فى شأن تعتبره من أساسيات وظيفتها .

ولم تعجز الحيلة ليو الثالث فأصدر قرارا اقتصاديا ودينيا فى مواجهة قرار البابا وكان بمقتضى هذا القرار .

* أن حرم على البابوية جميع حقوقها المالية وصادر كل أملاكها فى جنوب إيطاليا وصقلية .

---

(١) راجع كتاب محمد فى التوراة والانجيل والقران للقس إبراهيم خليل ص ١٣٤ .

• وفصل كرسى الأسقفيات فى تلك الجهات دينياً ، وقضائياً عن سلطة البابا .

• وجعل لبطريرك القسطنطينية الولاية عليها .

وبهذا القرار تم انسلاخ كنائس القسطنطينية عن سلطة الكنيسة الغربية ، ثم مات ليو الثالث وخلفه ولده قسطنطين الخامس ٧٤١/٧٧٥ م فورث هذا الجدل العنيف السفسطائى الأجوف فى مسألة تقديس الإيقونات أو عـــدم تقديسها . فرأى على عادة الإمبراطوريين أن يعقد مجمعاً مسكونياً لحل النزاع بعد أن أقام المتعصبون لعبادة الصور ثورة عارمة فى بلاد البلقان، وأخمدها عام ٧٤٢م، وكان الإمبراطور حازماً فعقد مجمع القسطنطينية عام ٧٥٣م/٧٥٤م الذى حرم عبادة الصور فى جميع أشكالها حتى ولو كانت للقديسين ، كما حرم طلب الشفاعة من مريم العذراء فحصل قسطنطين الخامس بذلك على سلاح دينى ضد عشاق عبادة الصور .

ومات الإمبراطور قسطنطين الخامس وخلفه ولده ليو الرابع فأظهر ضعفاً أو تسامحاً تجاه عبادة الأيقونات ثم انقلب فجأة عليها كأنما عاودته نزعة أبيه القديمة غير أن أجله يوافيه سريعاً عام ٧٨٠ م فتتولى أرملته [دينى] أو [إيرين] السلطة كوصية على الطفل الذى

سيرث العرش فيما بعد وهو قسطنطين السادس وكانت هذه السيدة فظة غليظة الفؤاد بليدة الإحساس فدبرت لولدها مؤامرة فى القصر عام ٧٩٧ م انتهت بالقبض عليه وسمل عينيه ثم أرسلته إلى أحد الأديرة ليقضى عشرين عاماً مسجونا فى داخلها وهو محروم من نعمة البصر ، واستولت هى على مقاليد الأمور ، وأظهرت ميولها الشديدة تجاه نصرة الإيقونات، بل إنها عينت فى منصب بطريرك القسطنطينية طرسيوس أكبر دعاة الإيقونية — عبادة الصور — وعندئذ هللت كنيسة روما فانفرج باب الخصومة واسعا وانعقد المجمع المسكونى فى نيقية عام ٧٨٧م وقرر بقاء عبادة الصور وتقديسها ، بل وأوجب وضعها فى الكنائس ، والبيوت ، والطرقات ، وعللوا ذلك بأن النظر إلى — ربهم — يسوع ووالدته ، وجماعة القديسين يشعر بالميل إلى التفكير فيهم(١) .

وليس من نافلة القول أن نلقى الضوء على حياة هذه السيدة لأنها أم خارجة على جميع مقاييس علم النفس إذ تجد من نفسها القوة على أن تفعل بولدها هذه الأفاعيل نظير وهم لا يسنده نص دينى ولا تعليل منطقى مقبول .

---

(١) هذه نفس النظرية التى يدافع بها علماء الهندوسية عن عبادة الأصنام راجع كتابنا : آلهة فى الأسواق .

يقول فى شأنها الـكاتب العلامة فاسيليف : إنها من أمهر النساء وأشهرهن وأكثرهن عنفا وميلا للشر .

ويفسر العلامة الإنجليزى فشر هذه العبارة بقوله :

« إتهم أهل روما البابا ليو الثالث بتهمة السيمونية وهى : بيع الوظائف فى الـكنيسة لمن يدفع أكثر ، كما اتهموه بالزنا والحنث فى الأيمان وانقض عليه أعداؤه فى شارع من شوارع روما ، ثم أوسعوه ضربا حتى أشرف على الهلاك ، وذلك فى يوم ٢٥ إبريل سنة ٧٩٩ م فلما أرادوا محاكمته لم يجـدوا للدولة امبراطوراً غير تلك الأثينية الحسناء فقال القوم : إن الفصل فى تلك القضية لا يمـكن أن يكون من اختصاص السيدة الأثينية الجميلة (رينى) التى أقامت نفسها امبراطورة فى الدولة البيزنطية القسطنطينية بعد أن أمرت بسمل عينى ابنها قسطنطين السادس وحكمت عليه بالسجن ليقضى حياته فى ظلام ليس بعده ظلام .

إن (رينى) لم تصلح — لا هى ولا ابنها اللاإيقونى التعس — فى الفصل فى هذه القضية[١] .

( ) راجع تاريخ أوربا القرون الوسطى فشر جـ١ ص ٨٦/٨٨ .

نشأة الأرثوذكس والكاثوليك :

شد الحبل فى قضايا الدين كان اللعبه المفضلة بين بطريرك القسطنطينية وبابا روما ، والزمن قد يطول وقد يقصر فى المصارعة بين الكنيستين فى عملية شد الحبل هذه ، ولكن الظاهرة أن المسيحين لم يتعبوا منها زهاء تسعة قرون مع أنهم فى طول هذا الزمن لم يستندوا فى مناقشاتهم وحوارهم إلى نص دينى ولم يقيموه على مصدر معتمد ، ولم يرثوا من السابقين منهم حضارة تفسر لهم ما هم فيه من فوضى ، ولم يكن الأمر إلا سلطة تجاذب سلطة ، ورياسة تطغى على رياسة والدين — المسيحية — هو الذى يمزق بين كلا القوتين ، وإنه لمن غريب الأمر أن نجد باحثا عالما متقننا فن التحليل والحوار مثل مسيو جنى بير ... نجده يرجع كل عمليات (شد الحبل) إلى طبيعة الفكر المسيحى الشرقى ، ويبعدها عن الفكر المسيحى الغربى ، إنه يقول :

« ... وعلينا بعد ذلك أن نذكر مسألة هامة وهى: أن المناقشات العقائدية الكبرى التى ثارت خلال هذين القرنين وعكرت صفوهما قد نمت جميعا فى الشرق ، أما الغرب فلم يفهم لها مغزى ، ولم يهتم بها ... »[1]

(١) راجع المسيحية نشأتها وتطورها شارل جنى بير ص ١١٥ .

وهو تحكم لأن الغرب كان هو مسرح العمليات الأولى بدليل أن روما تعتز بسيادتها لأن بطرس وبولس رحلا إليها ومنهما خرج هذا الشقاق والكنائس الأول التى قامت هى كنيسة بولس كما يذهب إلى ذلك مسيو جنى بير نفسه .

وأياً كان الأمر فإن العلة الرئيسية فى هذا الصراع هى غيبة الوحى المعصوم تلك العلة التى يعترف بها مسيو شارل جنى بير نفسه إذ يقول :

« أول الصعاب التى تعترض الدراسات نجدها فى النصوص نفسها التى تمتاز عن سائر النصوص الأخرى بضعف السند ، وبالاضطراب ، وعسر التحقيق ، وأقدم هذه النصوص وأهمها — لأنها تتناول حياة المسيح والزمن الأول للعقيدة — هى تلك التى احتواها العهد الجديد ، والتى استلزمت قبل إمكان الاعتماد عليها تحقيقاً نقدياً دقيقاً مطولا ، لم يوشك بعد على الانتهاء ولم يكن فى المقدور لفترة طويلة من الزمن أن نستخرج العناصر والأسانيد إلا منها ، بحيث اضطر المفسرون من أجل تفهمها إلى ترتيب المعانى وتهيئة الحواشى ، والتعليقات ، ولجأوا إلى النظريات والفروض ويالها من ضرورة مؤسفة.

وقد يحدث أحياناً والتحقيق النقدى فى طريقه إلى الإثمار أن تنكشف وثائق قاطعة فى المعانى المختلف عليها، أو تظهر نظريات وآراء جديدة لها وجاهتها فيعود الباحث من حيث بدأ»(١) .

فالعلة إذن ليست هى الشرقية أو الغربية فى عملية شد الحبل الدينى بين الكنائس كما يعلل — تعصبا — شارل جنى بير دفاعا عن الفكر الغربى، ولكن العلة الأساسية هى : انعدام المصادر الصحيحة التى منها تستقى أصول العقيدة، وأساسيات العبادة، وهذا هو الذى اعترف به مسيو شارل جنى بير فيما نقل عنه سالفا .

وعلى سنة الكنائس فى هداية لعبة شد الحبل أو العندية بلغة الفلسفة، أو فى مخالفة الرأى الآخر بغية السيطرة من أى من الجانبين على هذه السنة أثار بطريرك القسطنطينية مسألة جديدة اخترعها هو اختراعا وليس لها عنده من سند ولا مستند وهى مسألة انبثاق الروح القدس ... ورأى أنها منبثقة عن الآب وحده .

وعلى عادة القوم أيضا انفرج باب النزاع واجتمع لاعبو (شد الحبل) فأعلن بطريرك روما أنه يخالف هذا الرأى وذهب

---

(١) المسيحية نشأتها وتطورها شارل جنى جيبرس ١٧ .

إلى أن الانبثاق عن الآب وعن الإبن معاً . . . وتصاعد التشاجر وتغالب الفريقان فانعقد لذلك مجمع القسطنطينية الرابع عام ٨٦٩ م وقرر عزل بطرك القسطنطينية (فوسيوس) كما قرر أن القدس منبثق عن الآب والإبن معا ، وقرروا كذلك : أن كل من يريد أمرا يتعلق بالمسيحية وبعقائدها فليرجع إلى كنيسة روما .

وهذا هو محل النزاع الأصلى والغاية التى يسعى إليها كل فريق متحمس للعبة شد الحبل ولذا فقد قرروا فى هذا المجمع إمعانا فى النشاط وتحقيقا للسيادة : أن جميع المسيحيين خاضعون لكل المراسم التى يقوم بها رئيس كنيسة روما[1]

فهل إلى هذا الحد انتهت عملية شد الحبل ؟

هل إلى هذا الحد انتهت حلبة المشاكسة فلم يعد هناك مشاهد أخرى ؟

لا : لقد نشط بطريرك القسطنطينية المفصول (فوسيوس) وعمل على عودته إلى مركزه ، فعقد مجمع فى القسطنطينية عام ٨٧٩ م

---

(١) يسمى هذا المجمع اللاتينى الغربى : ومجمع القسطنطينية الرابع ٨٦٩م راجع كتابنا : يا أهل الكتاب فصل المجامع .

يعنى بعد عشرة أعوام من المجمع السالف ، وحصل فوسيوس على قرارات تبطل قرارات المجمع السابق ، فقد ألغى هذا المجمع كل قرارات المجتمع ... اللاتينى الغربى وقرر عكسها : أن الروح القدس تنبثق عن الآب وحده ، وأنه لا اعتراف بالمجامع السبعة التى آخرها مجمع نيقية عام ٧٨٧ م .

وبذلك تم الفصل بين الكنيستين : الشرقية ، والغربية ، ثم الفصل جغرافيا ، وعقائديا ، وسياسيا ، واختارت كل كنيسة لها نظاما وعقيدة ، بل واسما .

(ا) فالكنيسة الشرقية اختارت لها :

● اسما : الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية بمعنى المستقيمة لأن كلمة : orthodox تعنى المستقيم .

● وعقيدة : هى الطبيعة الواحدة ، والروح القدس منبق عن الآب وحده .

● وسياسة : لاتعترف لبابا روما بسيادة على كنيسة من كنائسها ومناطق نفوذ هذه الكنيسة وبلاد الشرق العربى والأوربى ، وكان هيلاسلاسى يحاول أن ينشرها فى جنوب شرقى آسيا ، وهناك محاولات جادة مستميتة وصامتة لنشرها فى استراليا ، وأمريكا .

(ب) والكنيسة الغربية اختارت لها

● اسما : الكنيسة البطرسية الكاثوليكية وتعنى العالمية الثانية على الرأى لأن كلمة catholic تعنى المبدأ القديم .

● وعقيدة : طبيعتان للمسيح ، وروح القدس منبق عن الأب والإبن معا

● وسياسة : تدعى السيادة على جميع كنائس الامبراطورية

ومناطق نفوذها بلاد الغرب : بلجيكا وإيطاليا ، وفرنسا وأسبانيا والبرتغال ومحالات التبشير الكاثوليكى سافرة فى شتى أنحاء العالم حتى ليليان تمشر جاء من بعيـــد لتقيع فى الشاطى الشرقى لنيل أسيوط من أجل أن تقيم لها مملكة صغيرة باسم الكاثوليك

ملاحظات :

إلى هذا الحد الزمنى الفاصل بين عقيدة الأرثوذكس وعقيدة نذكر بما يلى :

١ — الكنيسة المصرية القبطية وتسمى بالكنيسة المرقصية انشقت عن عالم المسيحية عام ٤٥١ م حيث لم توافق على قرارات مجمع خليقدونية عام ٤٥١ م لأنه حكم بطرد بطريرك الاسكندرية لقالنه، أن المسيح له طبيعة واحدة .

٢ — الكنيسة الأرثوذكسية انقسمت إلى كنيستين : قبطية رياستها فى الاسكندرية وأخرى أورشليمية بالقدس لأن هذه اعترفت بقرارات مجمع خلقدونية .

٣ — الكنيسة اليعقوبية انشقت عن العالم المسيحى إثر مجمع القسطنطينية الثانى عام ٥٥٣ م لأنها تقول بالطبيعة الواحدة والمجمع قرر الطبيعتين .

٤ — الكنيسة المارونية انشقت عن العالم المسيحى لأنها تقول بالمشيئة الواحدة للطبيعتين والمجمع القسطنطينى الثالث عام ٦٨٠ م قرر المشيئتين .

٥ — الكنيسة البزنطية الأرثوذكسية انفصلت عام ٨٦٩/ ٨٧٩ م لأنها تذهب إلى أن روح القدس منبق عن الأب وحده وهى القضية التى استمر الصراع حولها عشرة أعوام .

٦ - الكنيسة الغربية البطرسية الكاثوليكية انفصلت في نفس الأمن الذى انفصلت فيه عدوتها ولنفس الأسباب ذاتها

والسؤال الآن :

هل انتهت الصراعات الدينية وبخاصة بعد قيام البابوية المستقلة في روما ؟

البابوية

نشأت البابوية نتيجة عاملين : —

أولهما ديني : وهو النزاع المستحكم بين بطاركة القسطنطينية وبطارقة ... روما الذى إنتهى بالانفصال التام فى عام ٨٧٩ م .

وثانيهما : ضعف الإمبراطورية الغربية بعد التقسيم وذلك بسبب عجز الدولة عن فرض سلطانها على الدين والدنيا معاً عكس ماقامت به الدولة البيزنطية فى القسطنطينية وأيما كان الأمر فلا يهمنا كثيراً أسماء البابوات ولا عددهم بقدر مايهمنا من تطور دينى ألحقوه فى نظامهم الكنيسى الغربى والذى لم تقل به الكنيسة من قبل ولم يقل به عيسى ولا الحواريون

ولقد إزدهرت البابوية فى عهد اللمبارديين فتضاعفت ممتلكات الكنيسة وذلك بسبب التوسع فى نفوذ رجال الأكليروس فقد سهلت لهم السلطة الاستيلاء على الأراضى وقد ساعدهم على ذلك عاملان :

الأول : الفوضى السياسية والاجتماعية التى سادت إيطاليا فى ذلك العصر .

الثانى . أن صغار الملاك فى إيطاليا بحثوا عن سلطة تحميهم من فوضوية النزاع القائم بين البيزنطيين واللمبارديين فلم يجدوا غير الكنيسة فسلموا أراضيهم إلى رجالها .

وكان البابا جريجورى الأول هو الصورة الواضحة لقوة البابوية كما يقول تومسون Thomqsou حتى أن حكومته فى روما لتقترب من حكومة الامبراطور الدنيوى وقد استغل موارد البابوية المالية فى الأغراض التى تعود على العالم المسيحى بالخير وتدعيم الكنائس لأنه شعر بأنه أب لكل مسيحى فى نطاق البابوية .

فأدى هذا إلى صدام استمر زمناً طويلا بين السلطة الزمنية والبابوية[١] حتى كان شارلمان فسلب البابوية كل شىء لأنه حكم لصالح البابليو الثالث سنة ٨٠٠ م تقريباً .

وكان هذا البابا قد اتهم بالرشوة والحنث فى اليمين والزنا فبرأه وألبسه تاج البابوية واتفق مع حواريين أن يهتفوا : يعيش شارل المنصور[٢] .

وحاولت البابوية التخلص من قبضة شارلمان الذى أدعى أنه إمبراطور الدين والدولة معاً . . . . وطال حبل المجاذبات

(١) راجع تطورات هذا النزاع فى كتابنا يا أهل الكتاب ص ٢٠٤ وما بعدها .

(٢) نشر تاريخ أوربا في القرون الوسطى ط ٨٨

بين الدولة والكنيسة زمناً طويلا إلى أن تم الأنشقاق الكبير بين الدولة الكنيسة ١٤١٤/١٤٤٥ تقريبا. فحدث أن كان فى الامبراطورية الغربية عدة بابوات فى عدة أماكن تبعا لتعصب كل إقليم للبابا الذى ينتسب إليه .

فكان هناك بابا فى روما

فكان هناك بابا فى بيزا

وكان هناك بابا فى أفينون .

وفى خلال هذه الفوضى البابوية كانت هناك ثورة مدنية ضد النظام العقدى المسيحى فكان (وكاف) (وحناهس) ينكرون التحول المادى فى قداس العشاء الربانى .

وينكرون أن رجال الكنيسة لهم قوة روحية خاصة .

* وأن طاعة اليابا واجبة .

* وأنكروا صكوك الغفران .

* ودعوا رجال الكنيسة إلى البساطة والزهد .

واعتلى سجسمون ملك هنغاء ياعرش الأمبراطورية ١٤١١ ١٤٣٧م وقضى على الفوضى البابوية وعزل كلا من بابا بيزا ، أوفينون ولم يعترف إلا بابا روما .

والذى يهمنا من هذا هو الحقوق التى اخترعها البابوات لأنفسهم من خلال المجامع التى عقدوها للكنيسة الغربية .

* فقد جعلوا تعيين الأساقفة من شأنهم لا من شأن الحكام عام ١١٢٣م.

* وأن انتخاب البابا يكون بثلثى عدد الكرادلة عام ١١٧٩

* منح الغفران لمن تشاء الكنيسة .

* يتحول الخبز والخمر فى العشاء الربانى إلى جسد ودم السيد المسيح عام ١٢١٥ .

* إقرار أن البابا معصوم ١٨٦٩ م .

ولم تستطع البابوية أن تغلق عقول الناس ، ولم تستطع أن تحرم الفكر من التحرك ولم تستطع أن تقتل حرية التفكير لأنها فطرية . . . . فقامت على ذلك ثورة وثورة تريد الإصلاح . . . الإصـــلاح فى الدين الذى جاءت به الحطام والمجامع وعقول القساوسة[1] ولم يمنح هذه الثورة فظاظة أحكام محاكم التفتيش ولا عصمة البابا ولا قرارات الطرد والحرمان .

(١) راجع بتوسع تاريخى الفصل الثانى والمشرقون الناقدون والمصلحون ص ٣٠٥ فشر.

ثانياً. الثورة الاصلاحية والدين الجديد

بدون بولس كان من المحتمل ألا توجد المسيحية .. هكذا قال مسيو شارل جنير وإلى هـــذا يذهب السير آرثر فندلاى فى كتابه الكون المنشور: أن بولس هو الذى وضع أساس الدين الذى يسمى الدين المسيحى .. الدين الذى ولد طفلا عملاقاً متكاملا فى مجمع نيقيه ٣٢٥ م بأمر الإمبراطور قسطنطيين .

ونسى كلا الطابقين الجهود الضخمة التى بذلت فى المجامع والمذاهب الكثيرة التى قامت عليها عدة كنائس . والبطريركية القسطنطينية والبابويه الرومية ذات السلطان الغاره الواسع المستبد الذين بسطو نفوذهم ودسوا أنوفهم فى كل صغيرة وكبيرة .

يقول الكاتب الأربى [آديم] Idem : أن إزدياد تدخل رجال الكنيسة فى الحياة العلمية ترتب عليه عديد من الآثار اللاأخلاقية فسرعان ما أصبحوا من رجال الإقطاع بل إن وظائفهم نفسها غدت إقطاعية كما أدى زواجهم إلى إنصرافهم نحو جمع الثروة ليورثوها لأبنائهم .

فما دامت العقائد منذ بولس ، وما دامت النظم فى الدين المسيحى تأتى عن طريق العقل والغلبة والسلطان حيث غاب المصدر ولم يورث القوم إسلوبا عمليا يفسر نصوص مصادرهم ... فأية علة تمنع رجال الاكليروس ورؤساء الكنائس من التدخل فى شئون الناس لا سيما وهم يعتقدون أنهم ظل الله فى الأرض وأن روح يسوع قد حلت فيهم وأن البابا نائب عن المسيح .

وبناء على هذه المعتقدات الصناعية تصرفت الكنيسة مع الشعب فسلكت سبيل القهر والعنف والتسلط ففرضت عليهم إتاوة على كل فرد مسيحى : صالح أو مصالح . وقصرت أحقية تفسير الأناجيل لرجالها فقط وحجزت على عقول العلماء تفسير أى قانون فى الكون . وانشأت محاكم للتفتيش على آراء العلماء وأعدمت حرقا مجموعة من المخالفين لها .

كما كان تصرفها نحو الحكام لا يقل فظاظه عن معاملتها للشعب فأصدرت عديدا من قرارات الحرمان والطرد ضد بعض ملوك أوربا ومنهم فردريك ملك فرنسا وكذلك حرموا زوجته وطردوها من مغفرة الكنيسة .

والشعور بالسلطة يدفع إلى الديكتاتورية وهى بالتالى تدفع إلى

سلوك أنانى متبجح لا يحترم قيما ولا يأبه بعرف فادعت الكنيسة أنها تملك بيع الغفران فى صورة صكوك تباع بالمزاد تارة وبالجبر تارة أخرى .

وكانت الكنيسة قد صارت من ذوى الاقطاعات الكبيرة فانغمروا فى الترف المذهل ، ويصفهم السيد أيتين ديليه الفرنسى بقوله :

إن هؤلاء الوسطاء شر البلايا على الأديان وأنهم لكذلك مهما كانت عقيدتهم ، ومهما كان إخلاصهم وحسن نيتهم وقد أدرك المسيح نفسه ذلك ، ألم يطرد بائعى الهيكل ؟ غير أن أتباعه لم يفعلوا ما فعل واليوم عاد عيسى فكم يطرد من أمثال بائعى الهيكل ؟ كذلك ما أكثر البلايا والمصائب، بل ما أكثر المذابح والمجازر التى يكون سببها هؤلاء الوسطاء سواء كانت بين العائلات أو بين الشعوب وهم فى ذلك كله يصيحون باسم الرب [١] .

فهل ستظل العقلية الأوربية مقهورة لتعاليم مخترعة من عند ذات أنفس سلاطين الكنيسة ورؤساء الأديرة ..؟

لقد هبت موجات من ثورة الإصلاح فى تيارين عنيفين لا يقل أحدهما عن الآخر خطورة فيما يصبوا إليه .

---

(١) نقلا عن أشعة خاصة ترجمة الأستاذ راشد رستم ص ٢٣ :

لقد كان هناك تيار الفكر والثقافة ،

وكان هناك تيار المنصفين من متعقلى القساوسة .

• يرجع التيار الفكرى والثقافى المنادى بإصلاح الكنيسة إلى تلك النفرة السوء التى بعثت بها أوربا زهاء قرنين من الزمان إلى بلاد الشرق الإسلامى فى صور الحروب الصليبية نخسرت سمعتها وجيوشها وكرامتها وعادت بعد خيبة الأمل وهى تحمل آثاراً من الروح الاسلامية ومن الثقافة الإسلامية ومن المعامل العلمية الإسلامية وقارنت حياتها بما لقيته فى حاضرات الإسلام فأدركت أنها متأخرة متخلفة فراحت تترجم علوم المسلمين لتبليغ شأوا فى الحضارة . . .

وكان من أول آثار الحضارة الإسلامية فى نفوس مثقفى أوربا تلك البساطة فى عبادات الإسلام التى يقابلها فى التعبد فى الكنسى طقوس معقدة لا يقبلها عقل ولا يحس بها خاطر .

وكان أول نوع من التدين المسيحى المطلوب إلغاؤه الوساطة بين العبد وربه وصكوك الغفران والعشاء الربانى وقام بهذه الثورة يوحنا هس الذى حكم عليه مجمع كونستانس ١٤١٤/١٤١٨ م بالإعدام حرقاً جزاء فريته فى حق الكنيسة ثم يقولون بعد هذا الله محبة ، وإذا ضربك أخوك على خدك الأيمن فادر له الأيسر ...

وأين هو التسامح الدينى الذى تصبح به كنائس العـالم فى العصر الحديث !

ولم تمت الثورة الفكرية ضد الكنيسة بل إزدادت فطان آرزم ١٤٦٥/١٥٣٦ الذى دعا المثقفين إلى قراءة الكتب المقدسة وفهمها والتوصل إلى العقيدة من مصادرها .

ويكون آرزم صديقاً للبابا فلم يعمل عليه بل دعا إلى إحترامه لأن البابا ليو العاشر كان معجباً بعقلية آرزم .

وكان مع آرزم تومس مور ١٤٧٨/١٥٣٥ م وذلك الإنجليزى الثائر على الكنيسة وطقوسها وأنظمتها .

غير أن الخوف لا الاحترام فى نظرى هو الذى دفعه إلى القول باحترام البابا مع وجوب إصلاح الكنيسة... وكيف يفضل إصلاح الكنيسة والبابا هو نفسه الكنيسة أليس هو نائب المسيح ! أليس هو ظل الله فى الأرض ! أليس هو الذى يشرع ! أليس هو الذى يغفر ! أليس هو الذى يطرد ويحرم ..!

* ولم يكن التيار الفكرى وحده فى ميدان الثورة ضد الكنيسة بل كان هناك من داخل الكنيسة صوت يئن ويسخط وذلكم هو مارتن لوثر ١٤٨٣/١٥٤٦ م .

لقد ولد من أسرة فقيرة ولكنه وصل إلى مرحلة الدراسات العليا فى القانون غير أن ميوله كانت دينية أكثر منها قانونية فعكف على دراسة اللاهوت كما عكف على دراسة الفلسفة وشك فى صلاحيتها وكان يرى أن أرسطو من عبده الأوثان ... ودفعة فضوله الدينى إلى حج بيت البابا ليحصل منه على البركات.. وما إن وطئت قدمه أرض روما حتى اصطدمت مشاعرة بصيبيه . لقد كان يحلم بأنه سوف يقابل ورعاً وخشوعاً وطهراً وتنسكا ووقاراً وحلما وأدبا ورأفة ... فإذا به يجد مدينة ماجنه خليعة ، ويجد نفوسا دنسة وطرقا محاطه بالريب ودينا مستهانا به ، وجرأه على إرتكاب الخطايا .

ووجد الملائكة الذين تخيلهم قديسين قد انغمسوا فى شهوات بهيمية شيطانية ... فانفعلت نفسه بلهيب من الغيرة على الدين فأخذ يدعو إلى إصلاح الكنيسة .

وارتبطت حيـــاة لوثر بظروف سياسية وذلك بعد أن حكم عليه مجمع ورمز ١٥٢١ م بالحرمان والطرد ، حيث ظهرت نعرة جديدة عند حاكم سكسونية لحما لوثر من قرار محاكم التفتيش ثم تحولت هـذه النعره إلى نعره قومية لحماه الشعب الألمـانى عام ١٥٢٩ م . عندما حاول الامبراطور تنفيذ حكم الطرد والحرمان وتكونت على صياحات لوثر ديانة جديدة وهى مسيحية أيضا تسمى: البروتستانت : يعنى المعترضون .

وتتلخص هذه الاعتراضات التى صارت دينا عند أهلها فى :ـــ

ـ البابا ما هو إلا كبير المرشدين وليس خليفة للسيد المسيح .

ـــ عزل رجل الدين إذا لم يؤد واجبه .

ـــ لإصلاح نفسية رجل الدين يجب أن يتزوج الأساقفة .

ـــ لكل مسيحى الحق فى فهم الكتاب المقدس دون الرجوع إلى الكنيسة .

ـــ العشاء الربانى تذكار للغداء ولا يتحول إلى دم المسيح وجسوه .

ـــ لا رهبنة ولا أيقونات .

ـــ ولا يجوز إستعمال لغة غير مفهومة فى الصلاة .

وكان معه ثائرون ضد المسيحية الكاثوليكية فكان فى سويسرا زونجلى ١٤٨٤/١٥٣١ م يدعو إلى نفس الأفكار التى يدعو إليها مارتن . وكان بعده كلفن الفرنسى المولود عام ١٥٠٩ م . فأسس الكنيسة ـــ

البروتستانتية الانجيلية ، وسماها بذلك لأنها تأخذ تعاليمها من الإنجيل مباشرة [١] .

فهل إنتهت موجات السخط والانتقادات !

إنها لم تنته بعد ولن تنتهى ... فقد إمتلأت خزائن العالم فى جامعات أوربا بكراسات النقد والبحث اللاذع الذى سوف يكشف عن الحقيقة فإن الحق . فالذهب لا يصدأ بطول دفنه فى التراب .

(١) راجع التفاصيل الدقيقة لهذا الموضوع في كتابينا : أضواء على المسيحية ص ١٢٦/١٣٩ يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ص ٢٨١/٢٨٥ :

ثالثا

المسيحية أمام النقد والكشف العلمى

لم تحم التنظيمات الأكايروسية فى هذه المسيحية الرابعة ذات المسيحية من النقد اللاذع أو من التحليل العلمى .

بل إن هيمنته البابوية بما أعدته من جيوش عسكرية سلطتها على الشرق الاسلامى عشرات السنين .

وإن هيمنة المحاكم الدينية التى شلت إلى حين من الدهر الفكر العلمى التجريبى ... إن كان ذلك لم يمنع رجال المسيحية من نقدها ومن تحليلها تحليلا علميا يظهر زيفها ويظهر مروقها على رسالة يسوع المسيح ...

وفى افتتاحية هذا البحث يمتعنا (فشر) الكاتب التاريخى الانجليزى بعبارة تصور علة من العلل الدافعة عقول أبناء أوربا المسيحية إلى نقد المسيحية التى دان بها الأجداد والأبناء :

يقول فشر :

ثم إن الفخامة والأبهة والزينة التى ملأت البلاط البابوى واجتذبت إليه طوائف الفنانين والعلماء الإيطاليين والفرنسيين فضلا عن المحسوبية الشائنة التى اغرقتها المناصب الكبرى فى الكنيسة على أقارب البابوات، وأبناء أقاربهم، وفضلا عن الأموال الكثيرة التى ابتزها الجباة البابويون للإنفاق على هذه المظاهر وعلى المشاريع السياسية البابوية فى إيطاليا — كل ذلك أسخط أصحاب العقول المتزنة فى جميع أنحاء أوربا[1].

ويمكن تقسيم الساخطين على المسيحية الأوربية إلى صنفين من العلماء :

— صنف نقد وهذا بعضه ترك الاشتغال بالمسيحية والبعض الآخر دخل فى الاسلام .

وصنف بحث بحثا علميا وهذا الصنف كسابقه بعضه استمر

---

(١) تاريخ أوربا : العصور الوسطى حـ٢ ص ٣٦٠ .

على حاله مسيحيا شاكا غير مؤمن بدينه ولكن تربطه الجاذبية الاجتماعية والتقاليد الأسرية والنزعة العرقية الأوربية فهو مسيحي لأنه في أسرة ودولة مسيحية والبعض الآخر أسلم لأنه عرف الحق وشرح الله صدره للإسلام.

ولتوضيح هذه الأصناف يمكن أن نوجز القول فيهم كما يلي:

أولا : الناقدون

(أ) الناقدون الذين استمروا :

كثير جدا الذين نقدوا المسيحية الرابعة أو المسيحية الأوربية ومن أبرز الذين نقدوها وانخلعوا من ربقتها . وظلوا موصوفين بها الباحث العلامة (يوليوس فلهوزن) المولود فى مدينة (هاملن) على نهر الفايزر فى ١٧ مايو ١٨٤٤ م وقد درس اللاهوت وبدأ حياته الأكاديمية عام ١٨٧٠ م كمدرس لتاريخ العهد القديم ، وفى سنة ١٨٧٢ م صار استاذا لعلم اللاهوت فى جامعة (جراى فسفالد) وبعد عشر سنوات من عمله كأستاذ لعلم اللاهوت استقال عام ١٨٨٢ م فقد تبين له فى أثناء دراسته وتدريسه لعلم اللاهوت أنه لا يستطيع فيما بينه وبين ضميره أن يظل متمسكا بفكرة أن الكتاب المقدس وحى إلهى ... وحول نفسه إلى عمل آخر بعيد عن الأديان ، واشتغل باللغات الشرقية فى مدينة هالة ثم انتقل عام ١٨٨٥م إلى جامعة (ماربورج) ثم انتقل إلى جامعة جوتينجن) ... وتوفى عام ١٩١٨ م .

يقول الكاتبون وشهرة فلهوزن ترجع إلى دراسته النقد
في ميدان العهد القديم وتاريخه ، وأنه كان مفكرا متحررا يعت
بالعقل ، ويعنى بدراسته النقدية ، وكان يتبع منهج النقد العلمى فوج
أن العهد القديم تنقصه الوحدة والانسجام سواء من حيث الأسلو
والعبارة أو من حيث الفكرة فإنه لا يمكن أن تكون نسبته إلى م
ينسب إليهم صحيحة بمعنى أنه ليس وحيا إلهيا أصيلا بل كتبه الناس
وبهذا وصل فلهوزن إلى فتح الطريق أمام الدراسات النقدية للكتا
المقدس(١) .

لكن فلهوزن يظل مسيحيا مع مرارة نقده لدين أوربى الذ
صنعوه لأنفسهم ولم يأتهم به حوارى ولا رسول .

ومثل هذا في الشرق العربى الأستاذ نظمى لوقا الذى أحد
ضجة بكتابه : محمد الرسالة والرسول ليبتز أموال المسلمين لينفقه
هو في سبيل خدمة دينه الذى ما زال باقيا عليه .

وكان على هذا المستوى كذلك أدباء أوربا وفى مقدمتهم :

— فولتير .

---

(١) مقدمة كتاب تاريخ الدولة العربية، يوليوس فلهوزن ترجمة الدكتور محمد عبد
أبو ريده .

— ورسو .

فقد حملوا حملة شعواء على رجال الدين المسيحى ثم تخطوا بحملتهم رجال الكنيسة إلى الكنيسة ذاتها وإلى المسيحية نفسها فأخذوا يقوضون ويهدمون ويخربون المسيحية بمعاول من الفولاذ(٢).

(ب) الناقدون الذين أسلموا :

وفى مقدمة الناقدين الذين أسلموا (اللورد هيدلى) الذى أثار بإسلامه ضجة كبرى فى أوربا لمركزه الاجتماعى والسياسى الكبير يقول : عندما كنت أقضى الزمن الطويل من حياتى الأولى فى جو المسيحية كنت أشعر دائما أن الدين الاسلامى به الحسن والسهولة ، وأنه خلو من عقائد الرومان والبروتستانت ، وثبتنى فى هذا الاعتقاد ، زيارتى للشرق التى أعقبت ذلك ودراستى للقرآن المجيد .

ومثل (اللورد هيدلى) مسيو (أتين ديديه) فى فرنسا ، والقس المصرى إبرهيم خليل ، والشيخ محمد زكى الدين الطهطاوى ، والقسيس الأندونيسى أنطيوس موقار والعلامة المحامى .

وعلى هذا الدرب كذلك أسلم الصحفى المشهور ريديه جينو

---

(١) أوربا والاسلام لفضيلة الإمام الأكبر دكتور عبد الحليم محمود ص ٣١ ،

الذى أسلم وسمى نفسه (الشيخ عبد الواحد يحيى) وكتب عن الشرق الغربى كتابا رائعا يجعل كل مسلم شرقى يفخر بشرقيته وإسلامه وعروبته فقد وضح فى هذا الكتاب [الشرق والغرب] الأصالة الحضارية والسمو التفكيرى للمسلم الشرقى ... كما وضح امتيازات الحضارة الإسلامية وأثرها فى الحضارة الأوربية المعاصرة وأثبتت أن العقيدة الإسلامية هى العقيـــدة الوحيدة الصالحة لكل زمان ولكل مكان.

ومن نفس الطراز الذى نقد المسيحية الرابعة الأوربية الصناعة الكاتب الصحفى النمساوى (ليو بلدفاس) صاحب كتاب : الاسلام على مفترق الطرق دافع فيه عن السنة الاسلامية كمصدر معصوم للتشريع الاسلامى وكتب كتابا رائعا عن سبب إسلامه أسمـــاه : الطريق إلى مكة ومن حديثه المقارن عن الاسلام قوله :

« ومن بين سائر الأديان نجد الاسلام وحده يتيح للإنسان أن يتمتع بحياته الدنيا إلى أقصى حد من غير أن يضيع اتجاه الروحى دقيقة واحدة وهذا يختلف كثيرا من وجهة النظ

نصرانية ، أن الانسان ـ حسب العقيدة النصرانية ـ يتعثر فى الخطيئة الموروثة التى ارتكبها آدم وحواء ، وعلى هذا تعتبر الحياة كلها واديا مظلما للأحزان(٢) .

* * *

هذا النوعان من علماء أوربا الذين تقدوا منهم من آمن وحسن إسلامه مثل :

مسيو أيتين دينيه الذى سمى ناصر الدين ، ومسيو ريليه جينو الذى سمى نفسه : عبد الواحد يحى ، والصحفى النمساوى ليو بولدفاس الذى سمى نفسه محمد أسد أولئك الذين أنعم الله عليهم وشرح صدرهم للإسلام ومعهم من مصر الأستاذ ابراهيم خليل حمد والأستاذ محمد مجدى مرجان والمرحوم الشيخ محمد زكى الدين الطهطاوى وغيرهم فى الخفاء كثير شبانا وقساوسة عرفوا الحق فآمنوا ولكنهم يخافون إعلانه .

---

(٢) راجع الإسلام على مفترق الطرق ص ٢٨ .

يقول اللورد هيدلى :

إنى أعتقد أن هناك آلافا من الرجال والنساء أيضا مسلمون قلبا ، ولكن خوف الانتقاد والرغبة فى الابتعاد عن التعب الناشيء عن التغيير تآمروا على منعهم إجتهاد معتقداتهم»[1] .

(١) أوربا والإسلام ص ٥٢ .

ثانيا : المحللون علميا

سجل التاريخ فى صـــورة واضحة مآسى محاكم التفتيش ،
وما كانت تقوم به من : إحراق بالنار .

ورمى فى الزيت المغلى

وإخراج للأظافر

وتقطيع لأجزاء الجسم قطعة قطعة .

وسجل الأثر الأخلاقى الذى غمر الإنسانية فى أوربا من جراء
هذه المحاكم ، فقد عم الرياء والنفاق خوفا على الأموال والأرواح ،
وانتشر الكذب والمداهنة بصورة لامثيل لها ووقر فى أذهان الناس
أن العدالة خرافة من الخرافات ، وأسطورة من الأساطير ذلك أن
شعار محاكم التفتيش كان : سماع الاتهام وعدم الإصغاء إلى الدفاع .

وحدثنا التاريخ أن نفوذ محاكم التفتيش تخطى أوربا وعبر
البحر وتغلغل مع الفاتحين الأسبان فى ربوع أمريكا لأول عهدها
بالغزو وكانت الفظائع التى ارتكبت هناك سواء من الفاتحين أو من
رجال الدين ضد الهنود الحمر لاتعد ولا تحصى .

وقد صور ذلك كله فى قصة خالدة سميت فارس قشتالة وخرجت القصة فيلما سينمائيا صور مدى العلاقة الوطيدة بين التنكيل بالإنسانية والمسيحية الرابعة مسيحية محاكم التفتيش ورجال الأكايروس .

كما سجل التاريخ ذلك الصراع الدامى بين رجال الأكايروس ورجال العلم التجريبى بل والنظرى فى أوربا .. وما مأساة جاليليو وأصدقائه بسر مستور ...

فلما كانت النهضة وهى ثمرة اعتداء آثم على الشرق العربى المسلم تنفس الأوربيون الصعداء لأنهم تحرروا من السيطرة المسيحية على عقولهم وحرياتهم وأجسامهم تحرروا ملوكا ، وتحرروا أفرادا وفقدت الكنيسة البابوية ببدء النهضة كثيرا من غطرستها التى أذلت أوربا أحقابا من الزمن .

وكان المفروض فى عصر النهضة أن تركل أوربا هذا الدين الذى أذلها وأخرها وأساء إلى شرفها وسمعتها.. ولكنها راحت تحلل الدين وتفحص مصادره وتحقق وقائعه ، وتعلل أسراره وكان ذلك باسم الإصلاح مرة ثالثة... ولم يكد يطلع القرن التاسع عشر حتى كان... مجال النقد قد اتسع وزاد الخرق على الكنيسة فلم تعرف كيف تسترد

سلطانها ولا تقاوم زحف فكر علماء أوربا حتى كان القرن العشرين فتطورت الدراسة ولم تكن الأبحاث التجريبية التى قامت بها الكليات المعملية إلا وسيلة ليفضح العلماء زيف المسيحية الرابعة: المسيحية التى صنعتها أوربا فى مجامعها، وكانت الحصيلة الممتازة التى قدمها للعلم وللحق وللعقل المنصف جماعة من العلماء الذين مازالوا مسيحيين تذكر منهم

(ا) شارل جنى بير.

رئيس قسم تاريخ الأديان فى جامعة باريس

(ب) موريس بوى

(حـ) مجموعة من علماء أوربا:

— فردريك جرانب

— جنتر كوفسكى

— رنيس إربك

— جون فتنون

— جورج برد فورد كيرد

— تشارلز هارولد

— ادولف هرنك

— ما كينون ... الخ.

أولا : مسيو شارل جنى بير

يقول :

(ا) فى شأن الأناجيل :

تصفح الأناجيل وحده يكفى لإقناعنا بأن مؤلفيها قد توصلوا إلى تركيبات واضحة التعارض لنفس الأحداث والأحاديث مما يتحتم معه القول بأنهم لم يلتمسوا الحقيقة الواقعية ، ولم يستلهموا تاريخا ثابتا يفرض تسلسل حوادثه عليهم ، بل على العكس من ذلك : اتبع كل هواه ، وخطته الخاصة فى تنسيق وترتيب مؤلفه .

ولاشك أيضا فى أنه لم يعتمد أحد منهم على سلسلة كاملة مترابطة من الوقائع تسمح له بأن يضع صورة واضحة لحياة المسيح : فلم يكن عملهم أذى سوى أن يربطوا — فى كثير أو قليل من المهارة — بين أطراف من المرويات ، وأن يشكلوا منها سيرة افتقرت إلى الوحدة الحقيقية ، كما أن عناصرها تبدو مجموعة فى إطار مصطنع .

وإننا لنلحظ فى ثنايا هذه السيرة الإنجلية نقصا كثيرا وفجوات خطيرة ، نلحظها حتى فى إنجيل مرقس الذى بلغ به الحرص أن تحاشى

الحديث عن مولد عيسى وطفولته[١] .

(ب) فى شأن عيسى ودعوته :

وخلاصة القول القول : أن عيسى بدعوته إنما كان يجد تلك السلسلة من أنبياء بنى أسرائيل التى انقطعت بعد العودة من المنفى ، والتى حاول أن يصل حلقاتها — من قبله — أنبياء آخرون منهم المعمدان فقيامه بالدعوى — مهما يدا أول الأمر أصيلا مبتكرا — ليس فى الواقع ظاهرة استثنائية أو غريبة من ناحية الشكل[٢]

وهل ظن عيسى أنه هو نفسه المسيح المنتظر ؟ لقد شك الناس فى ذلك ومازالوا يشكون مستندين إلى أدلة قوية فهو يصف نفسه فقط بأنه المسيح وهى كلمة تعادل كلمة كريستوس باليونانية والبحث الدقيق فى أصل النصوص الأنجيلية التى تظهر فيها هذه الكلمة يؤكد أنها لا تلتمى بصلة إلى المنبعين الأساسيين وهما :

مجموعـــة الحكم المسماة باللوجيا ، ثم الأنجيل الأول وهو إنجيل مرقص .

---

(١) المسيحية نشأتها وتطورها ص ٢٨/٢٩ للمسيو ايتين دينيه انقد للاناجيل ذكره فى كتابه أشعة خاصة بنور الالاسلام .

(٢) المسيحية نشأتها وتطورها ص ٣٧ .

وأكثر النصوص صراحة فى نسبة صفة المسيح إلى عيسى هى أقلها صمودا أمام النقد ، ونضرب لذلك مثلا بالتصريح المعروف الذى يروى أنه أدلى به أمام الكاهن قيافا (مرقص ١٦/١٤) وهو نص لا يعتمد على سند ما ، ويغلب على الظن أنه لا يتجاوب مع واقع التاريخ(١) .

والنتيجة الأكيدة لدراسات الباحثين هى :

أن عيسى لم يدع قط أنه هو المسيح المنتظر ، ولم يقل عن نفسه أنه (ابن الله) ، وذلك تعبير لم يكن فى الواقع ليمثل — بالنسبة إلى اليهود سوى خطأ فاحش ، وضرب من ضروب السفه فى الدين كذلك لا يسمح لنا أى نص من نصوص الأناجيل بإطلاق تعبير (ابن الله) على عيسى فتلك لغة لم يبدأ فى استخدامها سوى المسيحيين الذين تأثروا بالثقافة اليونانية إنها لغة استخدمها القديس بولس كما استخدمها مؤلف الانجيل الرابع(٢) .

حـ — فى الحواريين ورسالتهم :

كان أصحاب عيسى وأتباعه الذين اطمأنوا إلى قوة إيمان

---

(١) المسيحية نشأتها وتطورها ص ٣٨/٣٩ .
(٢) » » » ص ٣٩ .

القديس بطرس فتجمعوا — بعد فترة الرعب الأولى — ليحاولوا إعادة بناء الحلم الضائع واسترجاع الآمال التى غرسها استاذهم فى القلوب ، كانوا يهودا سذج بسطاء ليس لهـــم شأن فى قومهم ولا يمتازون بثقافة كبيرة ، وعلينا أن لا ننس ذلك .

فآفاقهم الفكرية لم تكن بأوسع او أبعد حدودا من أفق عيسى ، واقتصر طموحهم على الرغبة فى دفع خراف بنى إسرائيل نحو طريق النجاة ، وجميع الدلائل تحملنا على الاعتقاد بأنهم كانوا شديدى التعصب لبنى جلدتهم من اليهود — على الأقل فى بدء الدعوة — وفاقوا فى ذلك عيسى نفسه ، وكانت فكرة تبشير الوثنيين بعيدة كل البعد عن عقولهم ، بل الواقع أنه كان من ضروب المستحيل أن يتصوروا إمكان انتشار الإنجيل بين رجال لم يؤمنوا بالعقيدة اليهودية قبل ذلك[١] .

ويتحدث مسيو جنى بير عن إخفاقهم فى الدعوة فيقول :

والحق يقال إن الاثنى عشر لم يلاقوا فى القدس من النجاح سوى القدر اليسير الذى كان يمكن لأى رجل منصف أن يتوقعه :

---

(١) المسيحية نشأتها وتطورها ص ٥٥/٥٦ .

لقد كسبوا تأييد بضع عشرات من الناس مثلما هو الحال بالنسبة إلى كل فرقة دينية جديدة(١) .

بل إن مسيو جنى بير لا يستطيع أن يؤكد أن الحواريين كانت لهم سلطة مافيما يتعلق بالتبشير وحمل الدعوه يقول :

وإذا ماقلنا بأن المسيح صرح للحواريين الأثنى عشر بسلطه ما — وهذا محل جدل حتى اليوم — فمما لاشك فيه أن الأمر لم يتعد منحهم بعض ما أوتى هو من سلطان فى التبشير بالتوبة وبحلول مملكة الله ، ولم يصنع منهم قساوسة حيث لم يكن فى حاجة إلى ذلك(٢) .

(د) تحديد دعوة الحواريين :

وتتحدد رسالة الحواريين تلك التى لم يمنحهم عيسى فيها عددا ولم ينجحوا فيها كذلك بما توصل إليه مسيو جنى بير يقول :

...كانت فكرة قرب حلول مملكة الله الفكرة الأساسية فى

(١) المسيحية ص ٥٣ ، ٦٥ ، ٦٦ .
(٢) « ص ١٣٠ .

دعوة عيسى ، أما دعوة الحواريين فقد تحولت إلى فكرة مركزة هى أن عيسى هو المسيح الموعود ، وإلى قرب عودته لهذه الدنيا .

وهذان هما الموضوعان اللذان توضح لنا مجموعه « أعمال الرسل » أن الأثنى عشر من الأصحاب سوف يعودون بهما إلى القدس لشرحهما وتنمية أسرارهما .

ولا مناص لنا من الاعتراف بأن هؤلاء الأصحاب كانوا يتميزون بخيال دافق يزيد عن الحد إذ أن المنطق وواقع الأحوال كانا ينبئان فى صراحة بأنهم لن يلاقوا من النجاح أكثر مما لاقاه أستاذهم وبأنهم لا بد سائرون إلى مثل ما سار إليه من مصير محتوم[١]

ويقول فى تتمة هذا الموضوع :

ولعلنا نستطيع القول بأن بطرس ويعقوب الأكبر ، ويعقوب الأصغر وأيضا — فى غالب الأمر — حنا ماتو قبلى[٢] .

(ﻫ) ويقول فى شأن الصلب :

ومن المرجح كذلك أن الأحداث الخاصة بالصلب كانت قد

---

(١) المسيحية ص ٦٥

(٢) « « ٦٦

فقدت الكثير من وضوحها فى ذاكرة المؤمنين قبل تحرير الأناجيل وأنها تأثرت فى مخيلتهم بالأساطير المختلفة الشائعة فى الشرق ثم إنها فسرت تفسيرات غيرت وجددت فى جوانب كثيرة أساسية منها(١)

(و) قيامة عيسى من القبر :

ويتحدث مسيو جنى بير عن قيامة عيسى من قبره بعد ثلاثة أيام فيقول :

... تلاقى هؤلاء الحواريون بالجليل بين أحضان ذلك الأقليم الذى يعرفونه، والذى عاشوا فيه مع أستاذهم، وظنوا أنهم رأوه هناك : ثم أيقنوا أنه بعث من بين الأموات .

تلك هى الوقائع ، أما تفاصيلها فليس لدينا بها علم ولم يكن للأساطير بدمن أن تحاول تفسير الوقائع ، فصنعت منها نسيجا بالغ التعقيد والغموض اختلط فيه العجب العجاب من الأحداث الخيالية المستحيلة وتعذر بعد ذلك استخلاص الحقيقة منه لتضارب النصوص وتباين رواياتها وأن روايات الأناجيل التى وصلت إلينا ، والتى تتعلق ببعث عيسى لتبدو للمؤرخ الناقد نوعا من الإنشاءات التى لا تنسجم عناصرها

(١) المسيحية ص٢٩ .

بنيت على ذكريات مبهمة وتفاصيل متعارضة ، ثم على حكايات
وعة من تلك التى تعود عليها العالم الشرقى ، ولكن ماهو أساس هذه
سألة ؟ إذن لابد وأن يكون هناك شيء بالذات قد أثار الحديث
نها ؟ .

أساسها فيما يبدو على أرجح الاحتمالات رؤيا رآها بطرس
تها رؤى جماعية .

وتلك أمثلة ظاهرة لها أمثلة أخرى فى تاريخ الأديان (١)

ويقول شارل جنى بير كذلك :

أيقولون إنه بعث؟ ولكن من هم الشهود على ذلك .؟ إنهم هم
لأتباع فحسب ؟ فما أضعفه من برهان(٢) .

ويلته مسيو شارل جنى بير إلى حقيقة هى :

بدون بولس كان من المحتمل أن لا توجد المسيحية(٣) .

---

(١) يلتقى شارل جنى بير مع آرثر فنلادى فى هـذا الاستنتاج راجع كتاب
صخرة الحق ص٤٥ وكتاب محمد في التوراة والانجيل ص٤٦ شارل جنى بير ص٤٩ .
(٢) المسيحية ص٥٣ .
(٣) المرجع السالف ص١١١ .

ثانياً : مسيو موريس بوكاى

يتساءل موريس بوكاى عن القيمة الصحيحة للنصوص التى ف
حوزة بلاده اليوم ، ويرى أن هذا يعنى بالضرورة دراسة الظروف
التى سادت تحرير تلك النصوص ، وانتقالها إليهم ، ويقول :

« إن معالجة الكتب المقدسة من خلال علم الدراسة النقدي
للنصوص شىء قريب العهد فى بلادنا ، فقد ظل الناس يقبلون العهدين
القديم ، والجديد ، على ما هما عليه طيلة قرون عديدة ، ولم تكن قراء
الكتب المقدسة تؤدى إلا إلى اعتبارات مدحية » .

وكان مجرد التعبير عن أى روح نقدية إزاء الكتاب المقدس
خطيئة لا تغتفر ، وكان القساوسة هم الصفوة التى تستطيع بغير عنا
المعرفة عن الكتاب المقدس ، أما عامة العلمانيين فلم تكن تتلقى إلا
نصوصا مختارة خلال الطقوس الدينية أو عبر المواعظ .

وبعد أن أصبح نقد النصوص علما فقد كان له الفضل فى أن جعلن
نكتشف مشاكل مطروحة وخطيرة فى أحيان كثيرة غير أنه لا بد م
أن نصاب بخيبة أمل عندما نقرأ كتبا كثيرة تدعى أنها نقدية ولكنه

لا تقدم فى مواجهة الكثير من مشكلات التأويل الحقيقية إلا تفسيرات مديحية تهدف إلى ستر جرح المؤلف وحيرته .

وإننا لنأسف حقا لذلك الموقف الذى يهدف إلى تبرير الاحتفاظ فى نصوص التوراة والإنجيل ببعض المقاطع الباطلة خلافا لكل منطق.

إن ذلك موقف يسىء كثيراً إلى الإيمان بالله لدى بعض العقول المثقفة ، ومع ذلك فقد أثبتت التجربة أنه إذا كان بعضهم قادراً على فضح بعض مواطن الضعف من هذا النوع فإن الغالبية من المسيحيين لم تدرك حتى الآن وجود هذا الضعف ، وظلت فى جهالة تامة من أمر ذلك التناقض مع المعارف الدنيوية المشهورة التى تعتبر غالبا من المعارف الأساسية (١) .

ولقد كانت مقابلة نصوص الكتب المقدسة بحقائق العلوم موضوع تفكير الإنسان فى كل العصور ، ففى البدء قيل إن إتفاق العلم والكتب المقدسة أمر لازم لصحة النص المقدس ، وإن القديس

(١) دوائر المعارف البريطانية ، والفرنسية عرضت نماذج لفساد الأناجيل وركزوا على عدم صحتها ، ولاشك أن هذه الدوائر يطلع عليها شباب أوربا ، ولاشك أن هذا الشباب يدعى طلب العلم ، ولاشك أن المسيحية دين شرقى ، ومع هذا فلم نجد من هذا الشباب تفتح ذهنى لمناقشة ما جاء فى دوائر المعارف الأوربية ، وعلة ذلك إنما هو التعصب القومى ، والنزعم الفكرى الردىء .

أوغطسين قد حدد هذا المبدأ بشكل حاسم ، ولكن التطور العلمى كشف للمفكرين عن وجود نقاط إختلاف بين الاثنين ، وبهذه الطريقة ، خلق ذلك الوضع الخطير الذى جعل اليوم مفسرى التوراة والإناجيل يناصبون العلماء العداء ، إذ لا يمكن فى الحقيقة أن نقبل بأن رسالة إلهية منزلة تنص على واقع غير صحيح بالمرة .

وبناء على ذلك فليس هناك سوى إمكانية واحدة للتوفيق المعقول بين الأمرين ، وهى : عدم قبول صحة المقطع الذى يقول فى التوراة بأمر غير مقبول علميا .

ولم يكن هذا الحل طواعية . بل بالعكس فقد تعصب بعضهم بشدة للاحتفاظ بتمام النص ، وقد كان نتيجة هذا أن اضطر المفسرون إزاء صحة الكتب المقدسة إلى إتخاذ موقف لا يمكن قبولها من قبل رجل العلم . (١)

وبنفس الموضوعية قمت بنفس الفحص على العهد القديم ، والأناجيل :

---

(٢) تحب أن نؤكد من جديدة أن قضية النزاع بين الدين والعلم قضية أوروبية الم
مسيحية الديانة . راجع كتابنا « إله فى الأسواق » ص ٤٢/٤٣ .

* أما بالنسبة للعهد القديم فلم تكن هناك حاجة الذهاب إلى أبعد من الكتاب الأول : أى : سفر التكوين ، فقد وجدت مقولات لا يمكن التوفيق بينها وبين أكثر معطيات العلم رسوخا فى عصرنا .

* وأما بالنسبة للأناجيل فما تكاد تفتح الصفحة الأولى منها حتى نجد أنفسنا دفعة واحدة فى مواجهة مشكلة خطيرة ، ونعنى بها: شجرة أنساب المسيح وذلك أن نص إنجيل متى يناقض بشكل جلى إنجيل لوقا وأن هذا الأخير يقدم لنا صراحة أمراً لا يتفق مع المعارف الحديثة وخاصة بقدم الإنسان على الأرض(١).

ثم يقدم مسيو بوكاى عرضاً نقديا تحليلياً للأناجيل من حيث اضطراب نصوصها ، وفساد عدة موضوعات علمية لا يقبلها العقل على ماهى عليه ، ولا بعد أن تؤول لشدة مجافاتها للواقع . . . بعد هذا يعرض مسيو بوكاى عدة قضايا منها :

(أ) غياب رواية تأسيس القربان المقدس من إنجيل يوحنا

لأنها عنده من أهم ما يلفت نظر قارىء إنجيل يوحنا ، فإنه لا يشير إلى تأسيس القربان المقدس فى أثناء عشاء المسيح مع الحواريين بينما تتحدث الأناجيل الثلاثة عن تقديس الخبز والخمر اللذين يصبحان جسد ودم المسيح . أما يوحنا فهو لا يقول عن ذلك كلمة واحدة .

(١) دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ص ١٣/٨ .

إن دراسة هذه المشكلة تحرج المفسرين إلى درجة أن علماء اللاهوت يحتالون فى البحث عن صورة أولية أو معادلات للقربان المقدس فى أحداث حياة المسيح التى يسردها يوحنا ...

وستظل هذه ثغرة فى إنجيل يوحنا مع ما انفرد به من سرد غسل المسيح لأقدام تلاميذه فى بداية العشاء (١) .

(ب) ظهور المسيح بعد قيامته :

يعطينا الأب روجى أمثلة على الاختلاف والفوضى والتناقض التى تسود روايات موت عيسى وقيامته فيقول :

لا تتطابق تماما فى الأناجيل الثلاثة المتوافقة قائمة النساء الآتين إلى القبر ، فليس هناك إلا امرأة واحدة فى إنجيل يوحنا وهى : مريم المجدلية ولكنها تتحدث بضمير الجماعة كما لو كانت لها رفيقات فهى تقول : « لا نعرف أين وضعوه » .

أما فى إنجيل متى فملاك هو الذى يعلن للنساء أنهن سيرين المسيح بالجليل ، ولكن المسيح بعد لحظة يقابلهن على مقربة من القبر .

---

(١) بتصرف عن كتاب دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ص ١١٨/١٢١ .

ولا شك أن لوقا قد شعر بهذه الصعوبة فعدل قليلا فى مصدره
ل الملاك : تذكرون كيف تحدث إليكن عندما كان بالجليل ؟

والواقع أن لوقا لا يشير إلا إلى ظهور المسيح ثلاث مرات بعد
متته ، أما يوحنا فيقول : إنه ظهر مرتين على ثمانية أيام بجمع بيت
ندس ، ثم فى المرة الثالثة يظهر بالقرب من البحيرة ، وأما متى فإنه
حدث عن مرة واحدة لظهور المسيح بالجليل . . ويستبعد الباحث
هذه الدراسة خاتمة إنجيل مرقص التى تتحدث عن ظهور المسيح
ه يعتقد أنها قد كتبت بقلم آخر .

وكل هذه الأمور تتناقض مع الإشارات إلى ظهور المسيح
تواة فى رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ١٥ ، ٥ — ٧
يقول :

إنه قد ظهر لأكثر من خمسمائة شخص فى وقت واحد يقول
كاى :

وإنه لمما يثير الدهشة بعد ذلك أن يندد الأب روجى فى نفس
ا الكتاب « بالخوارق الطنانة والطفولية فى بعض الأناجيل المزورة
يتعلق بقيامة المسيح (١)

بتصرف عن كتاب دراسة الكتب المقدسة ص ١٢١/١٢٢ .

(ج) صعود المسيح :

وتمتد المتناقضات حتى نهاية الروايات ، لأنه ليس يوحنا ولا متى يشيران إلى صعود المسيح .

فمرقص ولوقا يتحدثا عن صعوده :

بالنسبة لمرقص يقول : قد رفع إلى السماء وجلس على يمين الله وهذا دون تحديد تاريخى بالنسبة لقيامته ، غاية الأمر أن نهاية إنجيل مرقص التى تحتوى على هذه االجملة ليست نصاً صحيحاً .

وقد سبق أن ذكر المؤلف : أن المعلق يستبعد من هذه الدراسة الخاصة بإنجيل مرقص خاتمة الإنجيل المنسوب إليه كل ما يتعلق بظهور المسيح لأنه يعتقد أنها قد كتبت بقلم آخر ، فهى إذن ليست نصاً صحيحاً ، وهى نص أضيف كما يذهب إلى ذلك الأب روجى حتى وإن كانت الكنيسة تعتبره قانونا .

وبالنسبة للوقا فهو الوحيد الذى يذكر حدث الصعود وذلك فى نص لا يناقشه أحد يقول : انفصل المسيح عنهم وحمل إلى السماء ثم يضع لوقا الحدث فى نهاية رواية قيامة المسيح وظهوره للأحد عشر حوارياً ، وتتضمن تفاصيل الرواية الإنجيلية أن الصعود قد حدث

يوم القيامة ، ولكن لوقا يصف فى أعمال الرسل مرات ظهور المسيح للحواريين بالألفاظ التالية :

وقد حصلوا منه على أكثر من آية على حين أظهر نفسه لهم وحدثهم طيلة أربعين يوماً عن ملكوت الله [١ ، ٢ — ٣] .

إن هذه الفقرة من أعمال الرسل هى الأصل فى تحديد العيد المسيحى للصعود بأربعين يوما بعد الفصح ، فالتاريخ إذن محدد عكسى انجيل لوقا . فظهر التعارض بين أعمال الرسل هى التى يعتقد الكل أن لوقا هو الذى كتبها وبين الإنجيل الذى نسب إلى لوقا، ويضاف إلى هذا أنه ليس هناك نص إنجيلى آخر يبرر هذا التحديد التاريخى .

يقول بوكاى :

إن المسيحى وقد عرف بهذا الموقف يشعر بالحيرة فالتناقض واضح ، ومع ذلك فالترجمة المسكونية للعهد الجديد تعترف بهذا الواقع ولكنها لا تفيض فى الحديث عن التناقض بل هى تكتفى بالإشارة إلى إحتمال أهمية هذه الأربعين يوماً بالنسبة لرسالة المسيح .

والملفقين الذين يريدون شرح كل شىء بالتوفيق بين مالا يقبل التوفيق يعطوننا فى هذا الشأن تفسيرات شاذة . (١)

(١) دراسة الكتب المقدسة ص ١٢٣/١٢٤ .

(د) خاتمة الرأى عند بوكاى :

لقد أوضحت دراسات نقد النصوص الحديثة المعطيات التى تكون ثورة فى مناهج التفسير ، والتى تؤدى إلى عدم الأخذ بحرفية الأمور الواردة بشأن المسيح فى الأناجيل ، فهذه كتابات خرافية أو خصامية .

إن المعارف الحـــديثة وقد ألقت النور على تاريخ اليهودية المسيحية والتنافس بين الطوائف ، توضح وجود أمور تحير قراءة عصرنا فلم يعد مفهوم المبشرين كشهود معاينين قابلا للدفاع ، وأن ظل حتى يومنا هذا مفهوم كثير من المسيحيين .

إن مؤلفات مدرسة الكتاب المقدس بالقدس تثبت جيداً أن الأناجيل قد كتبت ونقحت وصححت أكثر من مرة ، ولهذا ينذر الكاتبان : الأب كانينجسر ، والأب بوامار ، قارىء الإنجيل بأن عليه أن يتخلى فى أكثر من حالة عن سماع صوت المسيح المباشر .

إن الطابع التاريخى للأناجيل لا يسمح بأى جدل ، لكن هذه الوثائق تعلمنا قبل كل شىء ، وعبر الروايات الخاصة بالمسيح بعقلية الكتاب المتحدثين باسم الطوائف المسيحية الأولى التى كانوا ينتمون

إليها ، وتعرفنا بوجه خاص بالخصومات بين اليهود والمسيحيين وبين بولس وإلى هذا يذهب أيضاً الكاردينال دانيلو يقول :

كيف تدهش إذن لتشويه المبشرين لبعض أحداث حياة المسيح لأن هؤلاء كانوا يهدفون إلى الدفاع عن وجهات نظر شخصية؟ كيف ندهش لحذف بعض الأحداث ؟ كيف ندهش للطابع الروائى فى بعض الأحداث الأخرى .(١)

حقاً كيف ندهش : وهى معركة خصومة ومشاغبات ...

---

(١) دراسة الكتب المقدسة ص ١٣٠/١٣١ .

ثالثا قضايا المسيحية

ومجموعة علماء أوربا الباحثين

(ا) الأناجيل :

فردريك جرانت من علماء معهد اللاهوت الاتحادى بنيويورك ويقوم بأعباء الدراسات اللاهوتية كأستاذ لهذه المادة

أجرى دراسات عن الأناجيل من حيث : أصلها وتطورها ، وملخص ما ذهب إليه :

إن المسيحيين الأوائل لم يكونوا يعتقدون أن كتبهم المقدسة تكون عهدا جديدا يتميز عن العهد القديم ، فقد كان العهدان شيئا واحدا متصلا .

لقد كان الناموس والأنبياء والمزامير — كما يذكر لوقا ٢٤ : ٤٤ كتبا مألوفة لكل اليهود بما فيهم اليهود المسيحيين فى فلسطين وغيرها ، كما كانت مألوفة لكل المتنصرين الذين كانوا على صلة بالمعابد اليهودية .

وعندما ظهرت أولى الكتابات المسيحية وفى مقدمتها رسائل بولس التى كانت تقرأ أسبوعيا فى المعابد اليهودية والكنائس المسيحية .

وعندما ننظر فى العهد الجديد فإننا لا نتوقع أن نجد عقيدة محددة وثابتة ، أو تفصيلا كاملا لتنظيم الكنيسة بل العكس من ذلك تماما ، فإننا نتوقع — وهذا ما نجده فعلا — اقتراحات لم يعمل بها أبدا ، وحلول تجريبية قصد التغاضى عنها فى مستقبل تطور الكنيسة .

إن العهد الجديد كتاب غير متجانس ، ذلك أنه شتات مجمع فهو لا يمثل وجهة نظر واحدة تسوده من أوله إلى آخره . لكنه فى الواقع يمثل وجهات نظر مختلفة وإن الإنسان ليستطيع أن يتبع بدقة ملحوظة الاتجاهات المختلفة التى سار فيها التفكير المسيحى كما يتتبع — إلى حد ما — التوسع الجغرافى والعددى للكنيسة ، وكذلك مراحل التطور الأولى لعقيدة الكنيسة واخلاقيتها وعباداتها ونمطحاتها[١] .

وهذا هو الرأى الذى ذكره المؤرخ الفرنسى شارل جنى بير إذ يقول :

---

(١) الأناجيل : أصلها وتطورها ص١٢/١٧ نقلا عن ترجمة المهندس أحمد عبد الوهاب وقد ذكر الامام الفاضل تقى الدين صالح فى كتابه : تحجيل من حرف الانجيل ان إنجيل متى ٦٨ إصحاحا ومرقس ٤٨ ولوقا ٨٣ ويوحنا ٣٣ على نحوها حققه الدكتور عدنان حسانين فى رسالة للدكتوراه من فرنسا حول تحقيق هذا الكتاب وهو مخطوطه محققه أهدى منها نسخة الأخ الدكتور عبد الفتاح بركة .

إن عيسى لم يبن كنيسة ولا الحواريين وإنما هى من عمل بولس الرسول ، كما أنه يعتبر الأناجيل تواليفات غامضة لم يسعفها الحظ لتعطى صورة واضحة عن حياة المسيح وأنها ضعيفة السند ولا تقوى على النقد العلمى النزيه .

ومع هذين العالمين يتفق مسيو ابتين ديليه الذى يقول :

.. لهذا جعلوا مكانه تواليفات أربعا مشكوكا فى صحتها وفى نسبتها التاريخية ، كما أنه مكتوب باللغة اليونانية وهى لغة لا تتفق طبيعتها مع لغة عيسى الأصلية التى هى لغة سامية .

لذلك كانت صلة السماء بهذه الأناجيل اليونانية أضعف بكثير من صلتها بتوراة اليهود (١) .

وجماعة كثيرة من هؤلاء النقاد والمحللين تذهب فى نتائج دراساتها إلى هذا الرأى منهم العالم المسيحى جون فنتون عميد كلية اللاهوت بليتشفيلد بانجلترا يقول :

لقد اعتقد [متى] أن العالم المعاصر للمسيح الذى يمتلىء بالخطيئة والمرض والموت سوف يأتى إلى نهايته سريعاً وأن يسوع سوف

---

(١) راجع كتاب أشعة خاصة بنور الاسلام ترجمة الاستاذ راشد رستم .

يأتى بمجد ، وأن كل إنسان سيكون إما من المباركين أو من الملعونين [٢٥ : ٣١]

ولقد اعتقد [متى] أن هذا سوف يحدث سريعاً قبل أن يكون رسل المسيح قد أكملوا التبشير فى كل مدن إسرائيل [١٠ : ٢٣]

وقيل أن يكون بعض معاصرى يسوع قد ماتوا [١٦ : ٢٨]
وقبل أن يفنى الجيل الذى عاصر المسيح [٢٤ : ٣٤] .

ومن الواضح أن هذا كله لم يحدث كما توقعه متى ، ورغم أن إنجيل متى هو أحد كتب العهد الجديد الذى ذكر بوضوح حدوث النهاية السريعة للعالم ، فإننا فى الواقع نجد أن أغلب كتاب العهد الجديد قد عبروا عن هذه العقيدة ، وفى اعتقاد كثير من العلماء أن يسوع نفسه كان يتطلع إلى عودته سريعاً إلى الأرض بعد وفاته فى مجد وبهاء .. إننا لا نستطيع أن نأخذ أقوال متى عن نهاية العالم حرفيا ، فقد برهن التاريخ على خطئها .

(ب) — الصلب :

تنقسم روايات الأناجيل عن أحداث الصلب إلى ستة عناصر تجرى مناقشتها تباعاً وهى :

- مقدمة الأحداث .
- العشاء الأخير .
- الليلة الأخيرة .
- المحاكمة .
- الصلب .
- الدفن .

● فيما يتعلق بمقدمة الأحداث فقد ذكرها مرقص فى :

١٤ : ١ — ٨ وعن هذه الرواية يقول العالم : دينس إربك فينهام : أستاذ اللاهوت بجامعة لندن ، ورئيس تحرير سلسلة بليكا لتفسير الأناجيل :

إن الفقرات الأولى غير مفهومة على الإطلاق ، ومن المحتمل أن ما قصده القديس مرقص ببساطة هو القول بأن السلطات اليهودية، وقد تحققت من أن أى محاولة للقبض على يسوع علنا قد تثير شغبا بين الجماهير المجتمعة فى المعبد — فإنها قررت تجنب الإضطرابات ، وذلك بالقبض عليه سرآ ، ولكنه إذا كان هذا هو المعنى المقصود فإن مرقص قد عبر عن ذلك بطريقة خاطئة جدآ .

وعلى ذلك فقصة مسح جسد المسيح بالطيب التي أوردها يوحنا مبكراً عما وصفه لوقا والتي أدخلها مرقص فإنها تبدو من القصص التي كانت تتداول دون تحديد لموقعها في فترة رسالة يسوع ، ولذا فإنهم يختلفون في مكان حدوثها : فعند مرقص حدثت في منزل سمعان الأبرص بقرية بيت عنيا ، وعند يوحنا حدثت في بيت مريم ومرثا [١٢ : ١ — ٢]

ويستمر العالم دنيس في سرد النصوص المتضاربة ثم يقول :

... مما سبق يتبين أن الأناجيل اختلفت تماما في هذه القصة التي تتكلم عن جسد يســـوع باعتبارها مقدمة لأحداث القتل والصلب ، وكما اختلفت الأناجيل في توقيتها ، فإنها اختلفت كذلك في عناصرها الرئيسية مثل :

— مكان الحادث .

— شخصية المرأة .

— رد الفعل عند المشاهدين[١] .

(١) تفسير انجيل مرقس دنيس اريك ص ٣٧٠/٣٧١ راجع رأي ول ديورانت حول العشاء في قصة الحضارة جـ ١ ص ٢٣٥ .

● وأما العشاء الأخير فإن مرقص فى الفقرة ١٦ من الاصحاح ١٤ يقول : فخرج تلميذاه ، وآتيا إلى المدينة ووجدا كما قال لهما فأعدا الفصح » .

وأغلب المفسرين يعتقدون أن هذه الفقرة إنما كانت فى الواقع إضافة أدخلت فيما بعد إلى الرواية التى كان يتبعها القديس مرقص فى هذا الجزء من إنجيله .

كما يختلف مرقص مع متى فى قصة العشاء الأخير ، إذ يجعل التلاميذ جميعاً يشتركون فى هذا الإعداد ، ولكن يوحنا يغير التوقيت الذى اتفق عليه كل من متى ومرقص ولوقا لأسباب عقائدية (١) .

والذى يترتب على هذا الخلاف فى التوقيت أن الصلب يتغير زمنه ووقته .

فإذا أخذنا برواية مرقص ومتى ولوقا يكون يسوع قد أكل الفصح مع تلاميذه مساء الخميس ثم كان القبض عليه بعد ذلك بقليل فى مساء الخميس ذاته ، وبذلك يكون الصلب قد حدث يوم الجمعة .

---

(١) تفسير انجيل متى جونى ننتون ص ٤١٥ .

وأما إذا أخذنا برواية يوحنا فإنه يعنى أن القبض كان مســاء الأربعاء ، وأن الصلب حدث يوم الخميس .

وإذن فمتى كان الصلب :

هل حدث الصلب يوم

الخميس أو يوم الجمعة ؟

- وأما عن الليلة الأخيرة فيقول مرقص :

ثم أخذ معه بطرس ويعقوب ، ويوحنا وابتدأ يدهش ويكتئب وقال لهم : نفسى حزينة جدا حتى الموت ... الخ [١٤ : ٣٢ — ٤٢].

هذا الجزء يصف آخر مرة كان فيها يسوع مع تلاميذه إذ أننا نجد أن نهاية الفقرة التالية من انجيل متى تقول :

حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا .

ولقد انقسمت الآراء بعنف حول القيمة التاريخية لهذا الجزء ويجرى تساؤل عما إذا كان يعتبر فى الحقيقة جزءا من المصدر الذى يروى عنه القديس مرقص .

فالبعض يشير إلى أن مثل هذا الوصف ربما يكون صادرا عن

بطرس ، ويؤكدون عدم احتمال قيام الكنيسة باختراع مشهد كان بالتأكيد مدمرا للرسل ، وذلك خلافا لحالة الثبات ورباطة الجأش التى واجه بها الموت كثير من الشهداء المسيحيين .

ويؤكد آخرون أنه لم يكن فى مقدور أحد أن يكون شاهدا لأغلب الحوادث المذكورة ، كما لم يكن فى مقدوره أن يعلم ماهية الصلاة التى صلاها يسوع وحيداً .

إن القرار الموثوق منه حول حقيقة ما جرى فى الحديقة — فى الليلة الأخيرة — أنه أمر مستحيل[١] .

(١) تفسير انجيل مرقص دنيس أربك ص ٢٨٩ / ٢٩١ .

• أما عن المحاكمة فإنها تتخذ حسب النصوص

ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى : المحاكمة أمام مجمع اليهود :

يقول مرقص : وكان بطرس قد تبعه من بعيد . . . إلخ النص ١٤/٥٣/٦٥ .

يقول العلامة نينهام : ليس من السهل أن نبين كيف نشأ هذا الجزء .

ولقد كان السؤال حول قيمته التاريخية - ولا يزال - موضوعا يتعرض لمناقشات حيوية ، ومن الواجب أن نعرض الأسباب الرئيسية للشك فى قيمته التاريخية وتناقشها باختصار كما يلى :

(ا) يصف القديس مرقص المحاكمة على أنها أحداث أمام المجمع - أى السنهدرين - وهو هيئة رسمية تتكون من واحد وسبعين عضواً يرأسها رئيس الكهنة ، وتمثل السلطة الشرعية العليـــا فى إسرائيل .

ولما كانت لائحة السنهدرين المذكورة فى المشنا تبين الخطوات التفصيلية التى يجب إتخاذها أمام تلك الهيئة ، فإن المقارنة بين تلك الإجراءات وبين ما يذكره القديس مرقص عن محاكمة يسوع تكشف عن عدد من المتناقضات أغلبها جدير بالاعتبار ...

إن محاكمة رسمية فى مثل ذلك الوقت — منتصف الليلة السابقة لعيد الفصح — تبدو شيئاً لا يمكن تصديقه كما يشك أغلب العلماء تماماً فى عقد جلسة فى مثل ذلك الوقت ، ولو لعمل تحقيقات مبدئية .

والقديس لوقا لا يذكر شيئاً عن عقد المجمع بالليل ، إنه يقول :

[ولما كان النهار اجتمعت مشيخة الشعب ورؤساء الكهنة والكتبة ، وأصعدوه إلى مجمعهم] ٢٢ : ٦٦ /

فتعدد الاجتماعات فى أوقات مختلفة مهما حاول المتفلسفون التقريب بينها فإنها يعوزها الدقة اللازمة لمثل هذه النصوص لإمكان الاعتماد عليها فى معرفة حقيقة ما حدث فى جلسة ذلك الصباح الباكر ...

وليس من النافلة قصة إنكار بطرس فإنها تثير عدداً من المشاكل لا سيما الخلط بين رواية التنبؤ بإنكار بطرس للمسيح وبين التنبؤ بشك جميع التلاميذ فى معلمهم فى تلك الليلة الأخيرة .

وأفكار بطرس محل إختلاف كبير بين كتبة الأناجيل ولهذا يقول المفسرون :

إن قصة بطرس مليئة بالمشاكل التى تذهب فيها بعيداً عن إطار الواقع .

ولا يبقى بعد ذلك سوى شك التلاميذ فى معلمهم فى تلك الليلة الأخيرة (١) .

المرحلة الثانية : المحاكمة أمام بيلاطس

يقول مرقص: و للوقت فى الصباح الباكر تشاور رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة والمجمع كله وأوثقوا يسوع ومضوا به وأسلموه إلى بيلاطس ... إلخ النص [١٥ : ١ — ١٥] .

يبدأ هذا الجزء بالاجتماع الثانى المستهدرين مع أن مضمون الفقرة الأولى لا يعطينا أى إشارة عن إجتماع سابق ومع أن المحاكمة تعرض لنا باعتبارها وقعت فى العراء إلا أن رواية مرقص لا يمكن إعتبارها تقريرا لشاهد عيان .

---

(١) راجل تفسير إنجيل متى جون فنتون ص٤٢٩ وكتاب تفسيرإنجيل لوقا دكتور جورج كبيرد ص ٢٤٤ .

والعلماء يشكون كذلك فى حادث غسل يد بيلاطس باعتبار أن عملية غسل اليد تكون دليلا على البراءة ، إنما هى عادة يهودية أكثر منها عادة رومانية .

ومن المستبعد أن يكون بيلاطس قد عمل شيئاً كهذا (١) .

المرحلة الثالثة : المحاكمة أمام هيرودس

يقول لوقا : كانوا يشددون قائلين : إنه يهيج الشعب وهو يعلم فى كل اليهودية بدءا من الجليل إلى هنا فلما سمع بيلاطس ذكر الجليل سأل هل الرجل جليلى ؟

وحين علم أنه من سلطنة هيرودس أرسله إلى هيرودس إذ كان هو أيضاً تلك الأيام فى أورشليم . . . إلخ النص ٢٣ : ٥/١١ .

إن هذه المحاكمة لم تذكر فى إنجيل آخر غير إنجيل لوقا هكذا يقول دكتور جورج كيرد .

ويتساءل بعض العلماء عما إذا كان هناك وقت كاف بين طلوع النهار والتاسعة صباحا يسمح بحدوث مثل تلك المرات الكثيرة من المجىء والرواح ؟ ومن ناحية أخرى فمن المحتمل أن تكون للوقا

(١) راجع تفسير انجيل متى جون فنتون ص ٢٤٨ .

صلاته بأهل بيت هيرودس الذين استقى منهم معلوماته .. لكن على حسب رواية لوقا نجد أن جنود هيرودس — وليس بيلاطس — هم الذين ألبسوا يسوع ملابس ملكية، كما لا يعلم شيئاً عن العداوة بين هيرودس و بيلاطس [١] .

أما عن سخرية الجنود فقد إضطرب فيها كاتبو الأناجيل إضطرابا جعل من المتعذر الوصول إلى الحقيقة التى يقصدها كتبة الأناجيل .

● الصلب :

وفيه عدة مسائل :

— حامل الصليب

— شراب المصلوب

— علة المصلوب

— اللصان والمصلوب

— وقت الصلب

— صلاة المصلوب

(١) تفسير لوقا دكتور جورج كيرد ص ٢٤٧ .

— صرخة اليأس

— موت المصلوب

— شهود الصلب

• حامل الصليب : من هو :

(ا) يتفق متى و لوقا مع مرقص أن حامل الصليب هو سمعان القيرواني .

(ب) لكن يوحنا يقرر أن يسوع خرج وهو حامل صليبه [١]

• شراب المصلوب : عند مرقص أعطوه خمراً .

عند لوقا قدموا له خلا .

وعند متى أعطوه خلا ممزوجا بمرارة [٢].

• علة المصلوب :

لقد إختلفت الآراء بشدة حول صحة ما كتب عن علته ، فيرى بعض العلماء أن الصيغة الدقيقة قد عرفت عن طريق شهود عيان ،

---

(١) تفسير إنجيل مرقص دنيس أريك ص ٤٢٢ .

(٢) تفسير متى جون فنتون ص ٤٤٠ .

بينما يعتقد آخرون أنه من غير المحتمل أن يكون الرومان قد إستخدموا مثل تلك الصيغة الجافة ، وأن ما ذكره القديس مرقص بوجه خاص عن علته إنما يرجع مرة أخرى لبيان أن يسوع قد اعدم باعتباره المسيا .

وقياسا على ذلك نستطيع تقييم درجة الدقة لما تذكره الأناجيل عن ألقاب المسيح ، وخاصة ما ينسب إليه من قوله مثل :

كان هذا الإنسان باراً ، بينما يقول آخر : كان هذا الانسان ابن الله ، أو قول تلميذه له يا معلم ، وآخر يقول له يا سيد ونداء غريب يقول له يارب إن الحقيقة دائما حول هذه الأمور محل شك ومحل خلاف .(١)

● اللصان المصلوبان :

تختلف الأناجيل فى موقف اللصين المصلوبين بل اختلفت نسخ انجيل مرقص مع نفسها فى الرواية الواحدة فعند متى ومرقص أن اللصين كانا يعيرانه [١٥ : ٢٧ — ٣٢ مرقص] وعند لوقا كانا يتشاجران مع بعضهما أحدهما يجدف ساخرا والآخر يدافع مؤمنا (٢٣ : ٣٩ — ٤٣) لوقا .

(١) تفسير انجيل مرقص دنيس اريك ص ٤٢٤ .

• وقت الصلب :

عند مرقص الساعة الثالثة (١٥ : ٢٥) .

وعند يوحنا الساعة السادسة (١٩ : ١٤ ١٦) .

يقول دنيس اربك نينهام :

منذ اللحظة التى روى فيها القديس مرقص انكار الناس ليسوع نجد أن الوقت قد خطط بعناية بحيث تكون الفترة ثلاثية :

إنكار بطرس ثلاث مرات (١٤ : ٦٨ ، ٧٢) .

وقت الصلب الساعة الثالثة (١٥ : ٢٥) .

ووقت الظلمة من الساعة السادسة إلى التاسعة ووقت المساء (١٥ : ٣٣ ، ٣٤ ، ٤٢) .

وهنا يبدو الحساب مصطنعا إذ أنه من الصعب أن كل ماروته الأعداد (١٥ : ١ — ٢٤) منذ بدء جلسة الصباح حتى وقت الصلب يمكن حدوثه فى الثلاث ساعات فى حين أن انجيل يوحنا يبين أن ذلك لم يحدث (١٩ : ١٤) [١] .

(١) راجع تفسير انجيل مرقص دنيس اربك ص ٤٢٤ .

● صلاة المصلوب :

يذكر لوقا أن يسوع قال : يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون (٢٣ : ٣٣/٣٤) .

ولكن الدكتو جورج كيرد يذهب إلى أن لوقا هو الذى أنفرد بهذه الصلاة — الدعاء — فقد حذفتها الأناجيل الأخرى بل أن بعض النسخ التى تنسب إلى لوقا لم تذكرها [١] .

وقد قيل إن هذه الصلاة محيت من نسخ الانجيل الأولى بواسطة كتبة القرن الثانى الذين ظنوا أن الله لن يغفر لليهود بعد تدمير أورشليم عام ٧٠ م وعام ١٢٥ م لقد ظنوا بعد هذا أن الله لم يقبل هذا الدعاء ولذلك محاها كتاب القرن الثانى الميلادى [٢] .

● صرخة اليأس :

يقول مرقص : وفى الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا : ألوى الوى لما شبقتنى (١٥ : ٣٤٣٢) .

(١) راجع تفسير انجيل لوقا ص ٢٥٠ .
(٢) راجع تفسير انجيل لوقا ص ٢٥١ .

ويقول لوقا : وكان نحو الســـاعة السادسة فكانت ظلمة على الأرض كلها إلى الساعة التاسعة ونادى يسوع بصوت عظيم وقال : يا أبتاه فى يديك استودع روحى [٢٣ : ٤٤ — ٤٦] .

بينما يقول يوحنا : فلما أخذ يسوع الخل قال قد أكمل .
(١٩ : ٢٨ - ٣٠) .

إن صرخة اليأس على الصليب تثير عددا من المشاكل التى كانت ولا تزال موضع جدل بين العلماء :

فالبعض يقول :

يبدو إن القديسين : لوقا ، ويوحنا قد رأيا فى كلماتها غموضا واحتمالا لسوء الفهم ولذلك حذفاها ثم استبدلا أحدهما بقوله : يا أبتاه فى يديك استودع روحى ، بينما قال الآخر : قد أكمل .

وعلى العكس من ذلك فإن مثل هذا الرأى يفترض الرواية التى كانت شاغله الأول وأن يذكر الحقيقة التاريخية ويسجل بأمانة للأجيال القادمة كلاما مزعجا يتعذر تفسيره ، ولهذا فإن أغلب العلماء المحدثين يقرون . تأويلات مختلفة تماما تقوم على حقيقة أن هذه الكلمات اليائسة إنما هى اقتباس من المزمور ٢٢ : ١ ، وإذا

أخذناه كل فإنه لا يمكن أن يكون صرخة يأس إنما هو صلاة لعبد بار يعانى آلاما ، إلا أنه يثق فى حب الله له وحفظه من الشرور وهو مطمئن تماما إلى حماية ربه اياه[1] .

● موت المصاوب :

يقول مرقص : ركض واحد وملأ اسفنجة خلا وجعلها على قصبة وسقاه قائـــلا : اتركوه لنر هل يأتى إيليا لينزله ، فصرخ يسوع بصوت عظيم وأسلم الروح (١٥ : ٣٦ - ٣٧) .

ويقول متى : قوم من الواقفين هناك لما سمعوا قالوا : إنه ينادى إيليا وللوقت ركض واحد منهم وأخذ اسفنجة وملأها خلا وجعلها على قصبة وسقاه ، وأما الباقون فقالوا : اترك ، لنرى هل يأتى إيليا يخلصه فصرخ يسوع أيضاً بصوت عظيم وأسلم الروح (٢٧ : ٥٧ - ٥٠)

وهنا نجد أن (متى) فرق بين الذى أعطى يسوع الخل والذى قال اترك لكن (مرقص) جعلهما واحداً .

وفى (متى) نجد الباقين هم الذين يخاطبون الرجل الذى أعطاه الخل

(١) تفسير انجيل مرقص ص ٤٢٧ — ٤٢٨ .

بقولهم اترك بينما فى [مرقص] الخطاب للجمع [اركوا] ومهما كانت الحقيقة وإن الموت كأس تتجرعه المخلوقات وحين يغش الناس بظله فإنهم يسلمون لله طوعا أو كرها .

• **شهود الصلب :**

فى مرقص : وكانت أيضاً نساء ينظرون من بعيد بينهن مريم المجدلية ، ومريم أم يعقوب الصغرى ويوس وسالومة اللواتى أيضاً تبعته وخدمته حين كان فى الجيل [١٥ : ٤٠ — ٤١] مرقص .

وفى لوقا : وكان لجميع معارفه ونساء كن قد تبعنه من الجليل واقفين من بعيد ينظرون ذلك . [٢٣ : ٤٩] لوقا .

وفى يوحنا : وكانت واقفات عند صليب يسوع أمه وأخت أمه مريم زوجة كلوبا ، ومريم المجدليه [١٩ : ٢٥] يوحنا .

تعلق دائرة المعارف البريطانية على هذا بقولها :

اختلف الشهود على الصلب فنجد فى الأناجيل الثلاثة : المتشابهة أن النساء فقط تبعن يسوع ، وأن القائمة التى كتبت بعناية واستفاضة لا تضم والدته .

ولكن فى يوحنا نجد أن والدته مريم تقف مع مريمين آخريين والتلميذ المحبوب تحت الصليب [ومن تلك الساعة أخذها التلميـــذ المحبوب إلى خاصته] .

هذا بينما لا تظهر والدته فى أورشليم - حسبما ذكرته المؤلفات القديمة — إلا قبيل العيد وفى رفقة أخوته [أعمال الرسل ، ١ : ١٤][1]

يقول جون فنتون :

لقد هرب التلاميذ عند القبض على يسوع ورغم أن بطرس قد تبعه من بعيد إلى فناء دار رئيس الكهنة فإننا لا نسمع عنه شيئاً أكثر من ذلك بعد إنكاره ليسوع[2] .

من ذلك يتبين أن شهود الأحداث الرئيسية التى قامت عليها العقائد المسيحية وهى :

الصلب

والقيامة

---

(١) تفسير انجيل مرقص ص ٤٢١ .

(٢) تفسير انجيل متى ص ٤٤٥ — ٤٤٦ .

والظهور

إنما كن على أحسن الفروض نساء شاهدن ما شاهدن من بعيد ثم قمن بعد ذلك بالرواية والتبليغ .

لكن الدكتور تشارلز هارولد المحاضر بجامعة ييل يرى :

أن الصلب كان الوسيلة المألوفة للإعدام تحت حكم الرومان وأن ما جاء فى مرقص من الآلام على لسان يسوع إنما هو تهيئه من أجل الموت لا من أجل المعاناة وما من شك فى أن التنبؤات التى نجدها فى الأناجيل ليست أكثر من إنعكاس لتجارب الكنيسة الأولى التى تكونت فيها التعاليم المسيحية ، ومن المؤكد ان بعضا من هذه التنبؤات — على الأقل — قد لوثتها تلك التجارب وفضلا عن هذا فإنها لم تتحق(١)

* * *

وإنه مما لا شك فيه إذا تهدم الإنجيل ، وفكرة الصلب فقد تهدمت المسيحية أصلا ، وموضوعا لقد هدمها بولس وهو يظن أنه يبنيها .

---

(١) دكتور تشارلز ص ٤١ — ٤٧ .

هدمهـا قسطنطين وهو يظن أنه ينصرها ثم هدمها علمـاء أوربا المعاصرون .

وإلى هذا الرأى يذهب ول ديورانت صاحب الكتاب المشهور قصة الحضارة ، يقول :

وكان الصلب من طرق العقاب الرومانية اليهودية .

وكان الجلد يسبقه عادة ، ووضع الجنود الرومان تاجا من شوك على رأس المسيح يسخرون بذلك من تلقيبه «بملك اليهود» ، ا نقشوا على صليبه باللغات : الأرامية ، واليونانية ، واللاتينية ، «عيسى الناصرى هو ملك اليهود»

Nar. ar athaeus rek joudeor um.

* * *

ومما لا شك فيه أنه إذا انهدمت فكرة الصلب كفداء للخطيئة ، ذا أثبت علماء المسيحية أنفسهم عدم صحة الأناجيل المنسوبة إلى صحابها فقد إنهارت المسيحية بمعول مسيحى .

---

(١) قصة الحضارة حـ ١١ ص ٢٣٧ .

لقد انهارت المسيحية بحول بولس وهو يظن أنه عندما يفصلها عن اليهودية أساسها وأصلها أنه يعززها وينصرها .

وهدمها قسطنطين وهو يظن أنه أخرجها من الكهوف إلى القصور .

وهدمها علماء أوربا بما صنعوه من نظام كنسى لا يعرفه عيسى ولا الحواريون .

ثم هدمها هدما علميا جمع غفير من العلماء الباحثين فى الجامعات الأوربية المسيحية سواء :

(ا) من آمن منهم بالله الحق وأسلم مثل ايتين دينيه ورينيه جينو وليو بلد فاس ، وسير هدلى .

(ب) أو الذين لم يؤمنوا مثل شارل جنى بير ، آرثر فندلا وجون فنتون ، جورج كيرد دنيس نيفهام ... الخ .

وبقيت المسيحية الرابعة فى عالم المعرفة هوى فمن أضل ممن أتبع هواه بغير علم .

* * *

اللهم إنى أشهدك وأشهد ملائكة عرشك أنى أؤمن بعيسى بن مريم عبداً ورسولا إلى بنى إسرائيل ومبشرا بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

اللهم صلى على جميع الأنبياء والمرسلين وعلى خاتمهم النبي الأمى الأمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

والحمد لله رب العالمين .

خاتمة

ظواهر في المجتمع المسيحي المعاصر

الظاهرة الاولى

الذى يدرس حياة المجتمع المسيحى المعاصر يجد عدة ظواهر في مقدمة هذه الظواهر عدم إقناع المثقفين النبلاء المخصلين بالنصوص التى ورثوها عن الأجداد القدامى . وتجد هذه الظاهرة فى شعوب كثيرة فى انجلترا ، وألمانيا ، وفرنسا ، وفى ماليزيا وأندونيسيا بل وفى مصر .

وجلة الناقدين فكرياً للنصوص القديمة صدت عن المثقفين بل والمتخصصين على نحو ماسقناه فى طوال هذه الدراسة .

ولقد أخذت فكرة النقد عدة مراحل :ـ

(ا) لقد كانت آراء شخصيته تعبر عن النقد الوجدانى للنصوص لاتتفق مع وجدانهم ومشاعرهم كما فعل ذلك مسيو ديديه وجينو .

(ب) ثم كانت أبحاثاً علمية صاخبة لاتقدم النقد إلى قاعة الحق واليقين بقدر ماتخرجه فقد من حلبة النزاع النفسى مع الكنيسة ومع النصوص القديمة وهذا مافعله العالم الألمانى فلهوذن حيث ترك تدريس مقارنة الأديان لأنه لم يعتقد بعـــد فى صحتها وراح يدرس اللغات الشرقية .

(د) ثم صارت هذه الإنتقادات صرخة علمية جريئة فى قاعات البحث العلمى بالجامعات وهذا مافعلة مسيو شارل جنير العالم الفرنسى المتخصص فى تاريخ الأديان بجامعة باريس، وفعله من بعد جماعة العلماء الإنجليز الذين قدموا أبحاثهم فى تفسيرات الأناجيل ووضعوا قواعد لنقدها وانتهوا منها إلى أنها غير مقبولة علمياً.

ومعنى هذه الظاهرة بالفقه الإسلامى أن الكتب التى نزلت على الأنبياء قد حرفت وموقف الكنيسة الانكليزية كمثال للإعتراف على هذه القضية واضح فى مقالة الأسقف تشارلى هدب إذ يقول:

إن موقف الكنيسة الإنكليزية حيال هذه الأسفار المسماء بالأيلوكريفيا هو موقف الكنيسة الأولى نفسه؛ فهى تعتبرها أسفارا كنسية وإن كانت غير قانونية ... أما بقية الأسفار فكما يقول «إيرونيموس» أن الكنيسة إنما نقرؤها لقدوة السير.. ولكن لاتستند إليها فى إثبات التعاليم[1]

فالدعوى المعاصرة من بعض مثيرى الفتن الطوائفية فى العالم الإسلامى من أولئك المستغلين زحمة الضيق والثغرات التى تحيط

---

(١) مقدمة كتاب: مقدمة الاسفار غير القانونية للعلامة الإنجليز الكان سل ترجمة ألقس صالح راعى الكنيسة الإنجيلية بالقدس

بالأمم، إنما هم قوم إنتهازيون وليسوا على مستوى الفكر ولا على مستوى من أخلاق العلم النزيه .

وشبابنا عليه أن يتفحص أساليب أولئك النوع من أوعياد الثقافة والعلم لاسيما فى تلك اللغة المتأثأة التى يطلق عليها الحوار الدينى ليوهى فى المسلمين حماسهم المخلص لوجه الله ، وليكسب على الأقل إفساد الغاية العليا للمسلمين وهى أن يكون الله الواحد الأحد الذى الذى لاشريك له ولا ولد هو الغاية فى كل مطلب من مطالب الحياة

* * *

الظاهرة الثانية

تلك الجموع من الشباب المسيحى الأوربى وغير الأوربى التى تعتنق الاسلام فى الأوقات الحديثه .

من يظن أن المسلمين وهم فى هذه الأحوال من الضعف والتهافت والانشقاق والازدحام فى سوق الشتائم . . .

من يظن أن المسلمين بهذى الحالة يكون مصدرحالهم دعوة إسلامية .

لقد حاول المبشرون أثر هزيمة يونيو سنة ١٩٦٧ أن ينشروا مقارنة بين المنهزمين والمنصرين ليستنتجوا من هذه المقارنة أن الهزيمة ثمرة طبيعية للدين الذى يعتنقه المنهزمون .

وحاول المبشرون أن ينشروا صور بعض الأعراب وهم فى حالات لا أخلاقية لينفروا الناس من إعتناق دين أولئك القوم المنهزمين وأن الاسلام دين العرب ... ... ألخ .

وحاول المبشرون شراء الذمم بالمال والسكر والملابس والمستشفيات والمنح الدراسية والسينما ... وجميع ألوان الترفيه ليصدوا عن الاسلام وعن دعوة الحق المبين .

ولكننا فى هذه الظروف والملابسات نجد ظاهرة وهى لاشك ظاهرة صحيحة نجد جموعا من الشباب المسيحى تدخل الاسلام .

أنها لاشك منحة من الله فهو وحده جل جلاله يهدى من يشاء إلى صراطه المستقيم .

(إنك لاتهدى من أحببت ، ولكن الله يهدى من يشاء)

● ومن النماذج الحيه المعاصرة ذلك القسيس الذى عاش عشرين عاما فى الكنيسة الكاثوليكية ثم يعلن إسلامه ، فقد جاء فى جريدة الأهرام أن الدكتور — جو هانز ليهمان قسيس الكنيسة الكاثوليكية فى كوالا لومفور اعتنق الاسلام ، وذلك بعد أن قضى عشرين عاماً من حياته فى خدمة المسيحية .

وأذاع الدكتور جوهانز أن اسمه الجديد قد أصبح الدكتور — يحيي عبد الرحمن وقال للصحفيين فى كوالا معور أنه اتخذ هذه القرار بعد أن قضى سنوات يدرس كل مايتعلق بالدين الاسلامى .

وقال الدكتور يحيي (جوهانز سابقا) لقدكنت محظوظا حقاً ، فبعد سنوات من الدراسة المقارنة فى الأديان تأكد لدى أن الإسلام دين ذو قوة روحانية تقود الانسان إلى الوحدة الأخوية وترشده إلى

الله وتؤكد له وحدانية الخالق[١] .

• وتمضى الأيام ويدخل هذه المرة شباب أكثر حماسة ويقيناً ولا تفرغ المراكز الاسلامية فى الخارج ولا لجنة الفتوى بالجامع الأزهر من واحد كل يوم يشهر إسلامه .

واقد طالعتنا جريدة الأهرام كذلك نبأ إسلام أشهر مطرب فى لندن وهو خبر غريب جداً ، إذا لايتصور من مثل هذا الشاب أن يفهم شيئاً عن الأسلام فمجال عمله . لايسعفه على الاطلاع والقراءة ثم النقد والتحليل والوصول إلى النتائج ... ولكن الله يمن على من يشاء من عباده .

والنص الذى نشرته الأهرام كما يلى : —

أشهر مطرب فى لندن يعتنق الاسلام

الدين الاسلامى هو القانون الحق لكل الناس .

---

(١) جريدة الأهرام ص ١ عمود ٤ العدد رقم ٣٢٢٢٨٦ السنة ١٠١ بتاريخ يوم الخميس ١٢ من ربيع الثانى ١٣٩٥ هو الموافق ٢٤ من أبريل ١٩٧٧ م .

اسمه كات ستيفنس من أشهر مطربى لندن ... أشهر إسلامه أخيراً وأطلق على نفسه اسم يوسف إسلام . ويقول المطرب الانجليزى الأول الذى اعتنق الاسلام : أن الدين الأسلامى ليس عقيدة فقط ولكنه أيضا القانون الحق لكل الناس . وهو يهدينا إلى الحب والطاعة والسلام التام مع النفس .

وقد أصدر يوسف إسلام كتاباً صغيراً يدعو فيه معجبيه إلى الدين الاسلامى ويشرح لهم كيف اعتنق الاسلام بقوله .

تأملوا الشمس ونورها واشعاعات القمر وتتابع الليل والنهار وبدائع السماوات والأرض وانتشار الأرض وخلق الانسان وهنا ستختارون الاسلام وهذه الكلمات عرفتها من القرآن ومعانيه .

واختتم كتابه بقوله : إن الانسان بطبيعته خلق ليعلم الحقيقة والإسلام هو الدين السليم للإنسان لقد أخرجنا الله بالقرآن الكريم من الظلمات والتشاؤم إلى النور والحياه لأنه شرح جميع مايحتاج إليه البشر . لقد أوضح القرآن لنا هدفنا فى الحياة فهو يعنى الباحث بالهداية ويوقف تفكير الانسان فيما هو غامض ويزوده

بالسلام الحقيق وأحسن الطرق لفهم حقيقة التعاون (أما الذين يتشككون فى الاسلام — يقول يوسف إسلام فسيظلون فى الظلمات الانسانية كما نعلم عائلة كبيرة ولكن للإسف بها موانع بدلا من عبورها إذا عبرنا هذه الموانع فالانسان يستطيع الوصول إلى حقيقة وجوده وبذلك يعترف بوجود الخالق الذى هو الله سبحانه وتعالى) .

وقال لى يوسف إسلام (لقد ذهبت إلى المركز الاسلامى فى لندن وأعلنت إسلامى وأنا فوق قمة شهرتى ومجدى ولم أتردد خشيه أن يفقد فى ذلك المعجبين بل على العكس فإننى كنت أؤمن أن سبحانه وتعالى سوف يعوضنى الكثير) . وقال لى يوسف إسلام : (قبل اعتناقى للإسلام كنت أتخيل أن القرآن ثقافة قديمة ولكن الآن وبعد أن قرأت القرآن أكثر من مرة اتضح لى أن تقاليد الدين الإسلامى ومبادئه ومعانيه لم تكن واضحة فى دراستنا التاريخية التى كنا ندرسها فى المدارس كذلك لم تشر إلى رسالة محمد عليه الصلاة والسلام التى تعتبر بحق مرشداً لجميع الأجناس) .

وقال المطرب الانجليزى الأول : (لقد تحققت بعد قراءتى للقرآن أن تلك الآيات والكلمات البينات لا يمكن أن تكون صادرة من تفكير إنسان فهى كلمات تختلف تماما عما نقرأه فى أى

كتب فأنا قارئ ممتاز أنى اقرأ الكتب الصادرة عن الأديان أو السياسة أو الفن) .

وعن نشأته يقول يوسف إسلام : (ولدت سنة ١٩٤٨ م فى لندن وكان اسمى إستيفن ديمترى جيو رجو ووالدى أستافروس القبرصى الجنسية والذى زار مصر ومكث بها ثمانى سنوات ، كان يملك عدة مطاعم غرب لندن ، كنت أعيش مع والدتى السويدية وأخى ديفيد وأختى أنية .. كنت أصغر أخوتى وأحب الفن والموسيقى وهوايتى المفضلة كانت الرسم مما دعا الجميع أن يصفونى بأنى طفل موهوب ولكن فى داخلى كنت خجولا وكان القلم هو الوسيلة الوحيدة للوصل بينى وبين غيرى .. وفى الخامسة عشرة اشترى لى والدى جيتارا مكافأة لى على نجاحى بتفوق فى دراستى وهنا بدأت الموسيقى دورها معى فبدأت أكتب أغنياتى واخترت إسم « كات ستيفن » إسم الشهرة .. وفى الثامنة عشر طبعت أول اسطوانة لى وفجأة أصبحت نجما كبيراً وبدأت إسطواناتى تباع فى جميع أنحاء لندن وأوربا . وحضر أخى بعد أيام من رحلة إلى الهند ومعه نسخة من القرآن باللغة الانجليزية أعطاه له صديق مسلم من الهند وقال له إقرأ هذا الكتاب قد تجد فيه مايهديك أثناء استشفائك وكذلك مخرجاً من حالتك النفسية وبدأت منذ ذلك الوقت فى إطلاق

الحيي وأعد نفسي روحيا وفي يوم من الأيام شعرت بشيء عظيم وأحسست بنور عظيم يملأ قلبي وهدوء عظيم يسكن صدري) .

يقول يوسف إسلام : (إني أقوم بالصلاة خمس مرات يومياً معظمها في المركز الاسلامي بلندن وقد ساعدت على فهم الكثير من الألغاز وفهم وشرح الآيات الدكتور سيد الدرش مدير المركز الذي شجعني كثيراً إلى أن صار المركز الاسلامي جزءاً مني أزوره كل يوم .. وقد تعودت الصيام في شهر رمضان وأقوم بصلاة الفجر كل يوم) .

ولقد هداني الله إلى الزوجة الصالحة التي تزوجتها في الشهر الماضي واسمها فوزية وهي مسلمة ومن عائلة كبيرة في تركيا .. وأنا حالياً أدرس اللغة العربية .. وأقصر نشاطي في الغناء على الحفلات الخيرية مساهمة في إسعاد الأطفال وقمت بعمل أغنيتين لهم في عام الطفل :

ويقول : لقد قلت للمعجبين في الكتاب الذي وجهته إليهم : أنه لو وفرت للناس جميعاً معاني الاسلام لما وجدنا سوء التفاهم السائد في جميع أنحاء العالم . لأن الاسلام معناه السلام فكل مسلم يعلن إسلامه وإيمانه برب واحد هو الله لا إله إلا هو والشهادة بأن محمداً نبي الله عليه الصلاة

والسلام وأن المسلمين جميعاً يؤمنون بجميع الأنبياء : نوح وإبراهيم وعيسى وموسى وغيرهم من الأنبياء على أنهم رسل حق وصدق وأن القرآن هو كلمة الله كما قدمها النبي محمد عليه الصلاة والسلام منـــذ ١٤٠٠ سنة .

* * *

ومن بعيد جداً يؤكد هـذه الظاهره العالم المجرى جيولا جرمانوس ذلك العالم الذى أحس بشعاع الإسلام يغمر فؤاده وطوايا جنانه فأسلم وترك صناعة أوربا فى الدين وتعمق فى دراسة الإسلام إلى أن نال درجة الدكتوراه فى آداب اللغة التركية واللغة العربية عام ١٩٠٧ م ووصل — وهو مسلم — إلى درجة علمية حتى صار أستاذا زائراً فى عديد من الجامعات منها :

* جامعة كلكتا بالهند ، وجامعة واجر بالبنجال

* وجامعة الاسكندرية ، وجامعة القاهرة

ثم عين عضوا فى المجمع اللغوى بالقاهرة وكان عالماً ضليعاً بالعربية أصولا وتذوقاً وتصريفاً وأدباً .

ولما حج إلى بيت الله الحرام بمكة المكرمة أصدر كتاباً رائعاً بالعربية تحت عنوان : (الله أكبر) وكان الكتاب فى مجلدين ترجما فيها بعد إلى اللغتين : الألمانية والإيطالية .

وقد مات فى شهر نوفمبر سنة ١٩٧٩ م بعد حياة حافلة بالتقوى والعلم والجد فى سبيل نصرة دين الله ولغة القرآن الكريم.

وأوصى الدكتور جيولا جيرمانوس الذى صار بعد إسلامه عبد الكريم جيرمانوس . بدفنه فى عاصمة بلاده المجر بوادبست على نظام الشريعة الاسلامية وقد شيعه سفراء الدول الإسلامية وفى مقدمتهم سفير مصر عرين الإسلام وحصن الضاد وبلد الأزهر الشريف .

وقد مات العالم الأوربى المسلم الدكتور عبدالكريم جيرمانوس عن ٩٥ عاماً وقدحضر المؤتمر الأول لمجمع البحوث الاسلامية عام ١٩٦٤ م ممثلا لمسلمى المجر إحدى دول البلقان ، أيام الخلافة الإسلامية العثمانية .

رحمه الله رحمة واسعة وأفسح له فى جناته[1] .

ومعنى هذه الظاهرة أن الفطرة إذا سلمت من جاذبية الثقافات البشرية المضللة فإن الإنسان سوف يهتدى إلى الدين الحق القويم .

ومعناها كذلك أن الدعوة لابد وأن تتوجه إلى هذه المنطقة

---

(١) راجع الأهرام العدد ٣٣٩٥١ ص ١٦ بتاريخ ٤ من المحرم سنة ١٤٠٠ هـ الموافق ٢٤/١١/١٩٧٩ م .

توجها الربانى لتزيل ضباب الثقافات بأساليب تجذب العقل ولا تنفر
من الإسلام .

إن وجود هذه الظاهرة فى حياتنا المعاصرة ـ دخول غير المسلمين
من غير العرب فى الإسلام ـ علامة من علامات صحة الإسلام فطريا
وطبيع البشر .

ومعنى هذا أن الدعاة عليهم أن يعودوا إلى حياض الإسلام
الصافية الرائقة النقية السلسبيل لينهل الناس من نبعها فتروى أكبادهم
الظامئة إلى شراب الحقيقة عساهم يهتدون ، إن شرح الله صدورهم
إلى إسلام .

وليحذر الذين يجعلونها شيعاً أن يصير أمرهم كما صار أمر الدين
الذى جاء به عيسى إلى مسيحية رابعة منفرة مشاكسة للطبع الإنسانى
الكريم

وما أجله من نداء كريم للجماعة المسلمة .

ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات
وأولئك لهم عذاب عظيم .

١٠٥ ـ آل عمران

أسأل الله العلى القدير أن يهب شبابنا ودعاتنا صراطه المستقيم وأن يمن علينا بالإخلاص وقبول الأعمال فإن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء .

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الإثنين : ٢٩ من ذى الحجة سنة ١٣٩٩ هـ

١٩ من نوفمبر سنة ١٩٧٩ م

دكتور (متولى يوسف حسن شلبى)

الشهير رؤف شلبى

كتب للمؤلف

تحت الطبع

- شيخ الاسلام عبد الحليم محمود
- المشكلة الاقتصادية
  في ضوء تعاليم الاسلام
- الجهاد الاسلامى
  منهج وتطبق
- سيكولوجية الرأى والدعوة
- زفاف راهبة

من مراجع البحث

١ — دائرة المعارف الإنجليزية .

٢ — دائرة المعارف الفرنسية .

٣ - المسيحية مسيو شارل جنى بير .

٤ - شروح الأناجيل لمجموعة كتاب أوربا .

٥ — الدر المنثور آرثر فندلاى .

٦ — الأناجيل الأربعة (العهد الجديد) .

٧ — تاريخ ابن البطريق .

٨ — سوسنة سليمان .

٩ — لماذا أسلمت للقس الأندونيسى انطوانيوس مواقر .

١٠ — قضية الحضارة ديورانت ميل .

١١ — يا أهل الكتاب } دكتور رءوف شلبى .
تعالوا إلى كلمة سواء

١٢ — الجرائد والمجلات .

الفهرس

المسيحية الرابعه

* * *